محمد باقر الصدر

رسالتنا

انتشارات مكتبة النجاح طهران

KØGEBIBLIOTEKERNE
4183576378

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

JUN 15 2007

رسالتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

Sadr

محمد باقر الصدر

رسالتنا

قدم له سماحة العلامة

السيد محمد حسين فضل الله

مطبوعات
مكتبة النجاح
طهران

(RECAP)
BP165
.S22
1982

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 016509825

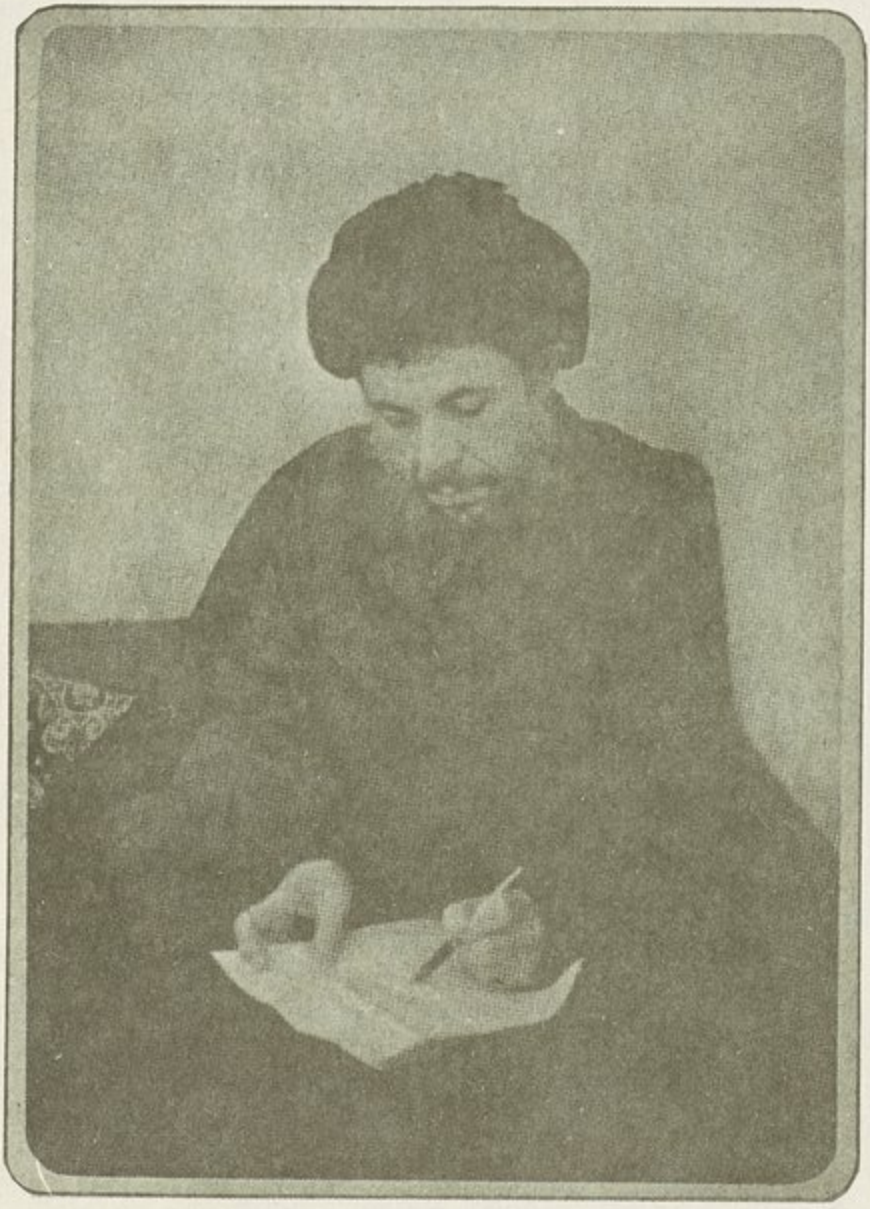

مؤلّفات الشهيد الصّدر

فلسفتنا ، إقتصادنا ، ماذا تعرف عن الاقتصاد الاسلامي ، خطوط تفصيليّة عن إقتصاد المجتمع الاسلامي ، الصورة الكاملة للاقتصاد في المجتمع الاسلامي ، الفتاوى الواضحة ، منهاج الصالحين ، نظرة عامة في العبادات ، أحكام الحج ، مباحث الدليل اللفظي ، بحوث في شرح العروة الوثقى ، تعارض الأدلّة الشرعيّة ، لمحة فقهيّة عن دستور الجمهورية الاسلاميّة في ايران ، دروس في عِلم الأصول ، المعالم الجديدة للأصول ، غاية الفكر في عِلم الأصول ، منابع القدرة في الدولة الاسلامية ، خلافة الانسان وشهادة الأنبياء ، اخترناك ، فدك في التاريخ ، بحث حول الولاية ، بحث حول المهدي ، الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية ، البنك اللاربوي في الإسلام ، المرسِل والرسول والرسالة ، الأسس المنطقية للاستقراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمّدٍ وعترته الطاهرين (ع).

وبعد فهذه (رسالتنا) هي مجموعة افتتاحيّات مجلة الأضواء الاسلامية التي كان يصدرها العلاّمة الشيخ كاظم الحلفي، وكاتب هذه الافتتاحيّات هو صاحب السماحة آية الله الشهيد الصدر قدس الله روحه ونوّر ضريحه. وقد تصدّى لنشرها الأخ الاستاذ عبد الحسين البقّال قبل اربعة عشر عاما، وطبعها في النجف الأشرف - العراق.

وفي عام ١٤٠١ من الهجرة النبويّة اعادت الدار الاسلامية في بيروت نشرها مصدرة بمقدّمة رائعة بقلم حجة الاسلام السيد محمد حسين فضل الله، وكتب عليها «الطبعة الأولى».

وهذه الطبعة التي نقوم بنشرها الآن في

طهران عاصمة الجمهورية الاسلاميّة الايرانيّة تُعتبر الطبعة الثالثة للرسالة هذه. ومن الله نستمدّ العون والتوفيق.

السيّد مرتضى الرضوي

طهران في غرة شعبان
١٤٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

بقلم حجة الإسلام والمسلمين
سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

قد تكون قيمة بعض الكتب والمؤلفات فيما تشتمل عليه من خصائص فكرية وعلميّة وفنيّة . . وقد تكون قيمة بعضٍ منها فيما يعبّر عنه من أوضاع اجتماعية وسياسيّة ودينيّة . . في نطاق الحالة الذاتية لأصحابها ، أو في نطاق البيئة الحيّة التي عاشوا فيها وانطلقوا منها . .

وهذا الكتاب « رسالتنا » يمثل - في قيمته الرساليّة - مرحلةً متقدّمة من مراحل وعي الأمة للإسلام في حركة جامعة النجف الأشرف . . في العراق نحو الإنطلاق في خط الجهاد الواعي المتوثّب المتطلع إلى آفاق جديدة

رائدة . . ولذلك ، فهو يمثل تاريخ بداية هذه المرحلة الجديدة هناك .

أما تاريخ هذا الكتاب . . ومدلوله وحركته فهذا ما نحاول أن نعالجه في هذه المقدّمة . .

فقد بدأ هذا الكتاب مقالاتٍ متلاحقة في مجلة الأضواء الإسلامية التي كانت تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف من أجل أن تكون الصوت الناطق للإتجاه الرسالي الإسلامي في مواجهة الإتجاهات المنحرفة الإلحادية التي بدأت تتخذ لنفسها موقعاً بارزاً في الساحة العراقية بعد إنقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ضد الحكم الملكي . فقد شعرت الحوزة العلمية في النجف الأشرف بأن الساحة أصبحت تحتاج إلى أدوات جديدة للصراع ، وإلى أساليب متقدّمة في الدعوة . . لا سيّما ، وأن التيارات المضادة كانت تعمل على مخاطبة العقل والعاطفة والغرائز لئلا تترك في الساحة فراغاً للإسلام أو للمسلمين . .

وكان من نتائج هذا الشعور أن تألفت هذه المجموعة من العلماء لتفكّر في طريقة العمل وفي

حركته . . وقد كان تحرّكَ هذه النخبة نقلةً متقدمة في تاريخ الوعي الإسلامي للنجف الأشرف ، لأنهم يمثلون المستوى العالي لأساتذة الفقه والأصول في الحوزة العلمية الذين لم تكن اهتمامات الكثير منهم تخرج عن النطاق العلمي الخالص ، بل ربما كان البعض منهم يعتبر الخروج عن هذا النطاق إلى المجالات السياسية ، حتى الإسلامية منها ، ابتعاداً عن الإختصاص ، وانحرافاً عن السلوك الروحي المستقيم . . ولكنها التحديات العاصفة التي تواجه القافلة السائرة في استرخاء ودعة ، فتدفعها إلى التحرك السريع المتوثب من أجل مواجهة الرياح القادمة من بعيد . .

وبدأت هذه الجماعات تصدر المنشور تلو المنشور لتفتح أعين الناس وقلوبهم على التحديات الجديدة التي تواجه الإسلام من خلال حركة الثورة التي أراد الكثيرون اللعب من خلالها على مشاعر الجماهير التي اهتزت بفعل التغيير الحادث في شكل الحكم وفي شعاراته . . واعتبرت خشبة الخلاص من الحكم السابق الذي كان يمثل العمود الفقري للإستعمار البريطاني في المنطقة . . وكما هي العادة في مشاعر الجماهير . . فإنها تندفع بقوّة

نحو الإطار وتترك الصورة جانباً للذين يمسكون بالإطار . . فليست الصورة هي القضية ، فلا أهميّة لنوعيتها وطبيعتها ما دام الإطار يغلّف الصورة المعروضة التي تتفق بالحجم واللون مع حجم الإطار ولونها . . وهكذا اندفعت الإتجاهات الفكرية السياسية المتعددة التي تتحرك من خلال الشعور الثوري ، تتخذ لنفسها موقعاً في داخل الإطار تبعاً للريح التي تهبّ على الشارع الجماهيري . . وكانت القوميّة والشيوعيّة والأقليميّة تتنافس وتتصارع فيما تطرح من شعارات وفيما تمارس من أوضاع ، وفيما تركز من علاقات . . وكان « الزعيم الأوحد » للثورة « عبد الكريم قاسم » شخصاً يتميز بصفات غريبة قد تكون طبيعة في تكوينه العصبي ، وقد تكون تمثيلاً في تصرفاته القلقة التي يتنقل فيها من موقع إلى موقع . . واندفعت الإتجاهات المتعددة لتأخذ من كل تصريح « للزعيم الأوحد » شعاراً يتفق مع طروحاتها الفكرية والسياسية . . وكان يملك أصول اللعبة فلا يشعر بأنَّ فئةً معينة قد سيطرت على الساحة ، إلّا ويحاول أن يبعدها عن مواقعها لحساب فئة أخرى ليظل الصراع مستحكماً وتبقى له صفة « الزعيم الأوحد » كما هو دوره

الذي أريد له في «لعبة الأمم» في المنطقة . . . ودخلت «جماعة العلماء في النجف الأشرف» الساحة فيمن دخلها . . من دون أن يكون للإسلام تنظيم معيّن وتخطيط مدروس صالح للإنطلاق نحو الساحة بأفكاره وشعاراته وخططه . . بل كانت هناك الأفكار العامة التي تقف ضد الإلحاد والشيوعية والإشتراكية والرأسمالية من غير وضوحٍ في الصورة ، أو دخولٍ في التفاصيل ولذا كانت المنشورات الصادرة عنهم في تلك الفترة مطبوعة بطابع الحماس الإسلامي الذي وقع فيما وقع فيه الآخرون من إسباغ الصفات الكبيرة على «الزعيم الأوحد» من أجل استغلال مركزه في تقوية الساحة الإسلامية ، أو في استثمار إسمه «الإسلامي» في الضغط على الفئات الأخرىٰ . . وربما كان جنون تلك المرحلة فيما يتحرك فيه هذا الزعيم ، وفيما تريد الأجهزة الإستعمارية أن تثيره في المنطقة ، قد أبعد العقل عن أن ينطلق بشكل هادىء ، فلم يبق له مجال إلّا بأن يركب موجة الجنون في طريقه إلى الحركة العاقلة . .

وشعرت «جماعة العلماء» بأن هذا الأسلوب لا يحقق أيّ تركيز للساحة ، فإن الموجة قد تتطامن

وتهدأ . . وتستقر على قواعد فكرية معينة من خلال تخطيط الفئات اللّاإسلامية لمستقبلها الفكري والسياسي في الساحة العراقية . . وكان في داخل هذه الجماعة أشخاص طليعيون ينطلقون بعيداً عن الفكر التقليدي المحافظ ، ويفكرون بأن الهدىٰ لا ينتشر إلا من حيث انتشر الضلال . . » وبدأ التفكير بالمجلة الإسلامية التي يُراد لها أن تخاطب عقول الشباب بالمفاهيم الإسلامية في ضوء أساليب العصر ومعطياته ليشعروا بأن الطروحات الجديدة التي تقدمها الفئات الأخرى لحل مشكلة الحياة والإنسان ليست علاجاً سحرياً يمكن أن يدخل الناس إلى الجنة الموعودة في الدنيا . . بل هناك المفهوم الإسلامي الذي يحقق للإنسان التوازن في الحلول الواقعية للمشاكل المطروحة في الساحة . . وتحركت في الساحة الإسلامية في النجف الأشرف من خلال هذا الإتجاه في التفكير الذي فرضته حدّة الصراع ، . . الخطوات العمليّة للإتجاه الإسلامي الجديد الذي يفكر في قيادة الإسلام للحياة على أساس الفكر والعاطفة والمنهج والشريعة . . وكان الجو يسمح لهذا الإتجاه أن يبدأ في عمليّة النموّ والتطوّر . . لأن الساحة الدينية كانت

قلقةً من التحديات الكافرة القاسية . . وكانت مجلة الأضواء الإسلامية باكورة هذا الإتجاه في أهدافها التي عبّرت عنها الكلمة الأولى من رسالتنا . . . « وليست هذه الأضواء إلاّ إشعاعةً من نور الإسلام الوهّاج حاولنا أن تنير للأمّة وتكشف عن شيء من كنوز الإسلام أو تعكس أنواره على ما يتماوج به واقع الأمة من أفكار وأحداث وهي جزءٌ من حركة فكرية شاملة تدعو المصلحين والقادة الإسلاميين إلى إيجادها والتوفر على تنميتها وتغذيتها لتعرف الأمة طريقها السويَّ وتفهم كيف تفتح الدنيا بالمفتاح الإلٰهي الذي أهملته طوال السنين . . » .

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الأضواء في تخطيطها الفكري وفي حركتها الرسالية كانت خاضعةً لإشراف وتوجيه مجموعة من الطاقات الفكرية الإسلامية الجديدة العاملة في هذا الإتجاه الإسلامي الكبير المتطلع إلى الحياة الإسلامية المتحركة في الفكر والحياة وفي طليعة هؤلاء كان يقف الشهيد السعيد المفكر الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر الذي كان فكره وقلمه يمثلان النقلة المتقدمة لحركة الإتجاه الإسلامي الرائد . . فقد كتب في تلك الفترة الحرجة كتاب « فلسفتنا » الذي

يُعتبر ـ بحقّ ـ الكتاب الذي نقل الصراع مع الشيوعيين ، من أسلوب الغوغاء الذي يقوم على أساس نهج المخابرات المركزية الأميركية ، إلى أسلوب الفكر العلمي ، مما يعطي الإنطباع بأن الإتجاه الإسلامي الجديد لا يتحرك في مواجهته للشيوعية من المواقع السياسية الموجهة لمصلحة الغرب ، بل يتحرك من موقع الإيمان بأن الطريق الوحيدة لتحصيل القناعات العقيدية ، هو الحوار الفكري المبني على القواعد الفكرية الثابتة . . . وقد كان لتحرّك الشهيد الصدر في تلك الفترة ، أثر كبير في انطلاق الخط الإسلامي الجديد في إطار نشاط « جماعة العلماء » وذلك من خلال موقعه العلمي المحترم ، بالرغم من صغر سنه ـ ومن خلال موقعٍ خالَه آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله وأخوه الحجة السيد إسماعيل الصدر (ر ة) في المواقع المتقدمة للجماعة ، فقد كان الشيخ آل ياسين ، يعتبر في مركز الرئيس للجماعة . . وانطلقت الجماعات المثقفة الواعية من إخوان الشهيد ومقدّريه معه في هذا الهدف الكبير . . وقد بدأ يكتب افتتاحية المجلة تحت عنوان « رسالتنا » إلى العدد الخامس منها . . حيث امتنع عن

مواصلة الكتابة فيها من خلال الضغوط الصعبة التي مارستها بعض مراكز القوىٰ في الحوزة العلمية لإبعاده عن السير بعيداً في هذا الإتجاه الذي بدأ يفرض نفسه على الساحة الإسلامية، في صيغة سياسية إسلامية منظّمة.. وكان من رأي هذه القوىٰ - في حوارها معه - أن ذلك قد يترك أثراً سلبيًّا على مستقبله المؤمَّل للمرجعية الدينية في الوسط الإسلامي الشيعي الذي قد لا يهضم - في البداية - الأسلوب السياسي في التحرك الإسلامي.. ولكنه ظل مواظباً على مساندة المجلّة ومتابعة نشاطها وتقديم بعض الأفكار الرائدة لبعض إخوانه من المفكرين الذين استمروا - برغبة منه - في كتابة الإفتتاحيّة..

ولا بدّ لنا - من أن نوجّه الإلتفات إلى نقطتين - في ختام هذا الحديث:

١ - إن على الدارسين الذين يريدون أن يدرسوا بدايات فكر السيد الشهيد السعيد السيد الصدر - قُدِّس سره - أن يدققوا في هذه الحلقات الخمس من «رسالتنا» ليعرفوا اتجاه فكره في تلك المرحلة، ودوره في قيادة

الحركة الإسلامية في العراق من خلال الخطوط العريضة للتحرك الإسلامي التي عرضها في هذه الحلقات . .

٢ ـ إنَّ على الدارسين للعمل الإسلامي في العراق أن يتوفّروا على دراسة الإتجاه الإسلامي في كلمات وأبحاث مجلة الأضواء الإسلامية التي تعتبر إنطلاقةً جديدة في أجواء الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ، فقد استطاعت أن تدخل الفكر الإسلامي الجديد في وعي الجيل الجديد من طلاب العلم الديني هناك ، واستطاعت ـ من خلال ذلك ـ أن تفتح الصراع المرير بين المحافظين والمجدِّدين في داخل الحوزة . . وكان من نتائج ذلك دخول الحوزة في خط الصراع السياسي بين الإسلام وبين السلطة هناك مما جعل السلطة تشعر بخطورة الثقل الكبير الذي تمثله الحوزة في نطاق مركز المرجعية الدينية ذات العمق والإمتداد الإسلاميين في حياة الأمَّة . وذلك من خلال حركة الإسلام الواعية في هذا المجال . . وقد أدى هذا كله إلى تسفير الألوف من طلاب العلم إلى خارج العراق واضطهاد وسجن الكثيرين منهم ، وإعدام المئات من الطلاب والعلماء بدون محاكمة . . وحتى انتهى الأمر

إلى المأساة الكبرى التي تمثلت في استشهاد المفكر الإسلامي الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر وشقيقته المجاهدة ـ بنتُ الهدى ـ على يد هذه السلطة الكافرة الطاغية . . وذلك من أجل أن تبقى للإسلام كلمتُه ، وتمتد للكلمة آفاقها في خطِّ الجهاد والتغيير على أساس شريعة الله . . وتلك هي قصة « رسالتنا » في الكلمة . . وقضية رسالتنا في الحياة . . . الفكر والأسلوب والعمل والجهاد في سبيل الله حتى النصر أو الشهادة . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد حسين فضل الله الحسني

بيروت

١٧ شعبان ١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة / ١٦

الشرطُ الأساسيّ لنهضةُ الأمّة

إن الشرط الاساسي لنهضة الأمة ـ أي أمة كانت ـ أن يتوفر لديها (**المبدأ**) الصالح الذي يحدد لها أهدافها وغاياتها ويضع لها مثلها العليا ، ويرسم اتجاهها في الحياة ، فتسير في ضوئه واثقة من رسالتها مطمئنة إلى طريقها متطلعة إلى ما تستهدفه من مثل ، وغايات مستوحية من المبدأ وجودها الفكري ، وكيانها الروحي . ونحن نعني بتوفر المبدأ الصالح في الأمة وجود المبدأ الصحيح (**أولا**) وفهم الأمة له (**ثانياً**) وإيمانها به (**ثالثاً**) فإذا

استجمعت الأمة هذه العناصر الثلاثة فكان لديها مبدأ صحيح تفهمه ، وتؤمن به ، أصبح بإمكانها أن تحقق لنفسها نهضة حقيقية ، وأن توجد التغيير الشامل الكامل في حياتها على أساس ذلك المبدأ فما كان الله ليغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم كما دل على ذلك التنزيل الحكيم .

وأمتنا الإسلامية الكريمة لا تفقد في الحقيقة من عناصر الشرط الأساسي لنهضتها البناءة إلا واحداً منها **فالمبدأ موجود** لديها متمثل في دينها الإسلامي العظيم الذي لا يزال ، وسيبقى أبد الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة المبدئية ، وتوجيه الأمة وجهتها المثلى ، والارتفاع بها من نكستها إلى مركزها الوسطي من أمم الأرض جميعا كما شاء الله لها ، والأمة الإسلامية كلها مجمعة على **الايمان بهذا المبدأ** ، وتقديسه دينا وعقيدة ، غير أن هذا الإيمان ضعيف في الغالب ، ومحدود لدى كثير من الأشخاص ، وأكبر سبب في ذلك عدم امتلاك الأمة بصورة عامة وغالبية ، العنصر الثالث وهو **فهم المبدأ** ، فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامي إيمانا إجماعيا ولكنها لا تفهمه فهما إجماعيا وهذا هو التناقض الذي قد

يبدو غريبا لأول وهلة فكيف تؤمن الأمة بالمبدأ وتدين له بالولاء وهيَ لا تفهمه حق الفهم ولا تعرف من مفاهيمه وأحكامه وحقائقه إلا نزرا يسيرا ولكن هذا هو الواقع الذي تعيشه الأمة منذ منيت بالمؤامرات الدنيئة المستترة تارة والسافرة أخرى من أبناء الصليبيين المستعمرين أعداء الإسلام التاريخيين . تلك المؤامرات الهائلة التي شنوها على الأمة وكيانها حتى انتهت بالغزو الاستعمازي المسلح فلم يكن للغزاة من همٍّ بعد القضاء على كيان الإسلام الدولي إلا أن يباعدوا بين الأمة ومبدئها . وقامت عملية الفصل هذه بين الأمة والمبدأ على قدم وساق وهي تعني سلب الأمة إيمانها بالمبدأ وفهمها له ولكن لما كان إيمان الأمة بالاسلام أقوى من تلك المؤامرات والمخططات الاستعمارية جميعا استطاع أن يثبت وينتصر في المعركة فظلت محتفظة بإيمانها بإسلامها العظيم ، وأما فهم الأمة للمبدأ ومفاهيمه وحقائقه فقد كان هو نقطة الضعف التي نجحت فيها عملية الفصل بين الأمة والمبدأ ، فقد استعمل الغزاة الآثمون كل الطرق والأساليب للقضاء على وعي الإسلام من ذهنية الأمة وحجب أضوائه وأنواره عنها بما نثروه هنا وهناك من مفاهيمهم وأفكارهم وتشويهاتهم

الإسلام المشرق العظيم . وهكذا أصبحت الأمة بعد أن نفذ أعداؤها فيها مخططهم الفظيع وهي لا تعرف من الإسلام شيئاً واضحاً محدداً أو تعرف ما زوَّره المستعمرون من أفكاره وحقائقه . وبهذه الطريقة وجد التناقض العجيب في كيانها فأصبحت لا تفهم الإسلام فهماً صحيحاً كاملاً بالرغم من أنها ظلت باقية على إيمانها به . وبطبيعة الحال إن انخفاض الوعي وحجب الصور الحقيقية الزاهية للإسلام عن الأنظار كان سببا في انخفاض الدرجة المعنوية للإيمان نفسه وفقدانه لكثير من طاقاته الحرارية الجبارة ، فمسألة الأمة اليوم ـ وهي تملك المبدأ الصحيح وتؤمن به ـ أن تقبل على تفهم إسلامها ووعي حقائقه واستجلاء كنوزه الخالدة ليملأ الإسلام كيان الأمة ، وأفكارها ، ويكون محركا حقيقيا لها ، وقائداً أمينا إلى نهضة حقيقية شاملة ، فالفهم العام للمبدأ الإسلامي إذن هو ضرورة الأمة بالفعل التي تستكمل الأمة به الشرط الأساسي لنهضتها .

وليست هذه (الأضواء) إلا إشعاعة من نور الإسلام الوهاج حاولنا أن تنير للأمة وتكشف عن شيء من كنوز الإسلام أو تعكس أنواره على ما يتماوج به واقع الأمة من

أفكار وأحداث وهي جزء من حركة فكرية شاملة تدعو المصلحينً ، والقادة الإسلاميين إلى إيجادها والتوفر على تنميتها وتغذيتها لتعرف الأمة طريقها السوي وتفهم كيف تفتح الدنيا بالمفتاح الإلهي الذي أهملته طوال هذه السنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا والدعاة

إن للرسالة الإسلامية خصائص ومميزات في كل الحقول والميادين تبرهن على أنها أكفأ الرسالات وأجدرها بالدعوة والنجاح والخلود . ومن تلك الميادين التي تبرز فيها خصائص الرسالة الإسلامية قوية رائعة ، الميدان العملي ، ميدان الدعوة وحمل لواء الرسالة ، فإن الدعوة إلى الرسالة الإسلامية تمتاز على أكثر الدعوات إلى مختلف الرسالات الأخرى بأنها تستمد من الرسالة نفسها وطبيعتها الخاصة ، عناصر قوتها وشروط نجاحها ومقوماتها الروحية في مجال الجهاد والكفاح . فالرسالة الإسلامية تمون الدعوة بهذه العناصر والشروط والمقومات بما لا يمكن لرسالة أخرى أن تقوم بذلك ولهذا تضطر كثير من الدعوات أن تستجدي بعض تلك المقومات الروحية من

جهات أخرى غير رسالتها التي تتبناها وتحمل رايتها .

وأهم تلك المقومات الروحية التي تحتاجها كل دعوة ذات رسالة مهما كان لونها هى :

أولاً : العقائدية التي تسبغ على الرسالة في نظر الدعوة طابعاً تقديسياً يقينياً ، فبمقدار ما يرسخ هذا الطابع التقديسي اليقيني في نفوس الدعاة ، تزداد اندفاعاتهم وتتضاعف طاقاتهم . لذلك يجهد قادة كل دعوة أن يضفوا على الرسالة التي يحملونها لوناً من التقديس العميق ويغذوا في نفوس الدعاة اليقين غير المحدود بصحة الرسالة وتفوقها على كل نقاش وجدال ليتولد من هذا الإيمان اليقيني طاقة حرارية دافعة في مجال العمل والتبشير .

ومن الواضح أن طبيعة الرسالة الإسلامية تكوّن لها هذا الطابع في نفوس الدعاة لأنها ليست نتيجة اجتهاد معين يكون عرضة للخطأ أو حصيلة تجارب محدودة قد لا تصور الواقع تصويراً كاملاً ، وإنما هي الرسالة الخاتمة التي اصطفاها الله سبحانه للإنسانية ، وبعث بها خاتم رسله صلى الله عليه وآله فهي مع كونها مذهباً للحياة

والمجتمع، تتمتع بالطابع الديني الذي يحيطها بالتقديس، واليقين المطلق. هذا هو الفارق بينها وبين سائر مذاهب الحياة التي لا تصل في عقيدة أصحابها إلى درجة الدين، ولا تحظى بما يحظى به الدين لدى المتدينين من يقينية مطلقة. وفي ضوء هذا الفرق يتبين السر في ما نطالعه من صلابةٍ عقائدية في حملة رسالة الدين المخلصين وميوعة أو انخفاض عقائدي في حملة الرسالات الفكرية الأخرى بالرغم من نبوغهم وعبقريتهم، فليس عجيباً مثلاً أن نرى ماركس وهو منشىء مذهب ودعوة من أشهر مذاهب التاريخ ودعواته يقول: «**إنني لست ماركسياً**» بينما يقول: داعية مسلم كعلي (ع) «**لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقينا**»، فإن عقيدة علي (ع) كانت ديناً. ومن طبيعة الدين أن يشع في نفوس رجاله المخلصين، بهذا اليقين، ويكسب هذه العقائدية المطلقة، وأما الماركسية فلم تكن ـ على أبعد تقدير ـ إلا اجتهاداً علمياً خاصاً. ولذلك لم تستطع أن تجعل من ماركس نفسه ماركسيا، ولم تستطع بعد ذلك أن تكتسب الصفة القطعية، والقدسية العقائدية إلا بعد أن لعب الماركسيون دوراً كبيراً في رفع الماركسية إلى مستوى

الدين في عقائديته وقدسيته . وهكذا نعرف أن الإمتياز الديني للرسالة الإسلامية يجعلها قادرة على خلق جو عقائدي كامل في أجواء الدعوة .

وثانياً : الأمل ، فإن الأمل هو بصيص النور الذي لا تستغني عنه كل الدعوات ، وإذا فقدت الدعوة أملها في الفوز والنجاح فقدت وجودها ومعناها الحقيقي ، لأن الدعوة إلى ما لا أمل في تحقيقه ضرب من العبث واللهو ، ولهذا كان لا بد لمختلف الدعوات أن تفتش عن الأمل وتغذيه في ضوء الظروف والأحداث ، وأن تتصيده من الظروف والأحداث نفسها ، وأما الدعوة إلى الرسالة الإسلامية فهي وإن كانت تعتمد في آمالها على الظروف والملابسات ولكنها تعتمد قبل ذلك على الأمل الذي تزودها به طبيعة الرسالة الإسلامية نفسها ، فإن هذه الرسالة تفتح بنفسها للدعاة أجواءً من الأمل وتقوّي من عزيمتهم ورجائهم . ولا أدل على أن الدعاة الإسلاميين يقتبسون أملهم من الرسالة نفسها قبل أن يستوحوه من الظروف والأحداث .

إن الطليعة الإسلامية التي عاصرت محنة الإسلام

في مكة وهو يومئذ وليد ضعيف قد تجمعت القوى على سحقه وتألّب الأعداء على خنقه كانت هذه الطليعة تهتز أملاً بل يقيناً بتهديم عروش الظلم ، كل العروش ، وإنقاذ بلاد كسرى وقيصر من كسرى وقيصر . ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا الأمل الحي القوي من أكبر القوى المعنوية التي كان يتمتع بها أولئك المسلمون ويستعينون بها على الصبر والإستبسال في المحنة ولم يكن من الممكن أن يخلق هذا الأمل في نفوس الدعاة شيء سوى رسالة لها طبيعة الرسالة الإسلامية وطابعها الإلٰهي اليقيني ومددها الروحي والمعنوي فلم يكن المسلم ليستهين أو يضعف أمام الشدائد وبيده مشعل السماء ومن ورائه الوعود الإلهية بالنصر والتأييد . ولا زالت ـ حتى الآن الرسالة الإسلامية كما كانت ـ قادرة على بعث الأمل في نفوس الدعاة بل هي تبعثه فعلا بما يشع في نصوصها القرآنية والنبوية من وعد بالنصر إذا خلصت النية وأحكمت الخطة على أساس الإسلام .

وثالثاً : الدافع الذاتي ، فإن الإنسان العادي مهما تصل به دوافعه المثالية فإن للدافع الذاتي أثراً بليغاً في حياته واندفاعه ومن هنا تنشأ المشكلة في كثير من الدعوات والرسالات لأن الرسالة تتطلب المثالية في الدوافع وروح

التضحية والمفاداة والدعوة تتطلب شيئاً من الدوافع الذاتية التي تزيد من حرارتها وقوتها واندفاعها ولأجل ذلك نجد أن الدعاة كثيرا ما يغرقون بعد زمن قصير أو طويل من دعوتهم أو انتصارهم ، في الدوافع الذاتية ، وتخبو في نفوسهم تلك الدوافع المثالية بالتدريج لتحل مكانها دوافع الذات وتصبح الرسالة أداةً ومبرراً لتلبية هذه الدوافع بعد أن فقدت في نفوس الدعاة دوافعها المثالية ، وأما الإسلام فهو يختلف عن بقية الرسالات في قدرته على تسخير الدوافع الأنانية والمثالية معا لصالحه فإن طبيعة الرسالة الإسلامية إقناع المسلم بأن الإخلاص لهذه الرسالة والدعوة إليها والتضحية في سبيلها مكسب شخصي قبل أن يكون مكسبا مثاليا أو اجتماعيا وربح لجزاء ونعيم لا حدود له قبل أن يكون عاطفة مثالية أو اندفاعا تحمسيا . وهكذا تجند الرسالة الاسلامية جميع الدوافع الإنسانية لصالحها وتجعل من الدوافع الأنانية دوافع خيّرة تواكب الدوافع المثالية في مقتضياتها ومتطلباتها ، فالرسالة الإسلامية إذن :

رسالة عقيدة وإيمان ، رسالة أمل ورجاء

ورسالة تجنيد لكل الدوافع والقوى الإنسانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .
سورة الحديد/ آية ١٦ .

المشاعرُ والأفكارُ

ألم يأنِ لهؤلاء الذين أضاء الإيمان عقولهم وتمكنت العقيدة من نفوسهم وتبين لهم الحق متجسداً في أشرف رسالات السماء أن يفجِّر هذا الإيمان في نفوسهم موجاً من العاطفة ويشعُّ فيها انفعالاً خاصاً يتفق مع طبيعة ذلك الإيمان وجوهره حتى تمتلىء قلوبهم بالخشوع للحق والإنقياد له والإنصياع إلى أوامره ونواهيه .

بهذا يعلن الإسلام عن ضرورة ازدواج الفكر

والعاطفة واجتماع العقيدة وما تتطلبه من ألوان الإنفعال والإحساس حتى تدب الحياة في العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة .

وهذه هي السياسة العامة للدعوة الإسلامية . فهي دعوة فكر وعاطفة أو بالأحرى دعوة إلى عقيدة بكل ما تتطلبه من مفاهيم وعواطف وليست دعوة فكرية خالصة تستهدف تطوير العقيدة طبقا لها ، وتقف عند هذا الحد ، كالمذاهب الفلسفية المجردة ، كما أنها ليست في مستوى الدعوات العاطفية المنخفضة التي تستغل العاطفة فحسب وتعنى بتربيتها دون أن تقوم على أسس فكرية خاصة . بل للدعوة الإسلامية طريقتها الخاصة في مزج الفكرة بالعاطفة ، وتفجير العواطف على أساس فكري وبذلك تبقى محتفظة بالطابع الفكري بالرغم من اهتمامها بالجانب العاطفي وتنميته في الشخصية الإسلامية لأنها تستوحي كل عاطفة من مفهوم معين من مفاهيمها عن الحياة ، والكون والإنسان .

فالعواطف الإسلامية دائماً نتيجة المفاهيم والأفكار

الإسلامية وانعكاسات إنفعالية لها . ولهذا نجد أن الإسلام يهيىء كل عقيدة من عقائده وكل مفهوم من مفاهيمه ليكون ينبوعا لعاطفة خاصة تنسجم مع ذلك المفهوم أو تلك العقيدة وتتفق وإياهما كما وجدنا في الآية الكريمة ، كيف ربط بين الإيمان بالشريعة الحقة والخشوع لها ، هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلبه ذلك الإيمان ويصبح بدونه مجرداً عن أية فعالية إيجابية .

والسبب في هذا الربط بين المفاهيم والعواطف في الإسلام واضح كل الوضوح ، لأن الإسلام لا يريد المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق ، وإنما يريدها قوىً دافعة لبناء حياة كاملة في إطارها وضمن حدودها ، ومن الواضح أن الأفكار والمفاهيم لا تصبح كذلك إلاَّ حين تتخذ أشكالا عاطفية ، وحين تخلق الإنفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها ، تتخذ هذه العواطف موقفاً إيجابيا في توجيه الحياة العملية والسلوك العام . فمفهوم المساواة ـ مثلاً ـ الذي هو من أهم المفاهيم التي بشَّر بها الإسلام ، لا يمكن أن يثمر في الحقل العملي المثمر المطلوب ، ما لم تنبثق من هذا

المفهوم عاطفة كعاطفة الأخوة العامة التي عمل الإسلام لإيجادها في نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفّاق قادر على الحركة والتوجيه طبقا لمتطلبات المفهوم .

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نرتب ما يلي :

أولاً : إن العقيدة كما يجب أن تكون ، قاعدة فكرية للشخصية الإسلامية وحجر الزاوية في تفكيرنا ومفاهيمنا طبقا لما أوضحناه في العدد السابق ، كذلك يجب أن تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ عليها الشخصية الإسلامية ، وتُنَمَّى فيها بمختلف الوسائل والأساليب لأن العواطف التي يرتضيها الإسلام للمسلم هي العواطف الفكرية أي العواطف التي ترتكز على مفاهيم فكرية معينة .

وحيث أن الإسلام هو القاعدة الأساسية للمفاهيم الفكرية التي تتكون منها العقلية الإسلامية كان من نتيجة ذلك طبيعيا أن يكون هو القاعدة والينبوع الأساسي لأعمق العواطف التي تتكون منها النفسية الإسلامية ، وبمقدار ما تكون الرسالة أكثر عمقاً وتركزاً في موضعها الرئيسي من

عواطف المسلم ترتفع شخصيته النفسية ، ويكتمل طابعه الإسلامي ، كما ترتفع شخصيته الفكرية ويكتمل طابعه بمقدار وجود القاعدة الإسلامية وتمركزها فيها .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيراً رائعاً عن العقيدة الإسلامية بصفتها الينبوع الأساسي لأعمق العواطف في النفسية الإسلامية إذ قال : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة / ٢٤ .

فالعقيدة الإسلامية ينبغي أن تكون في نظر الإسلام ينبوعاً لأعمق العواطف في نفس المسلم ، كعاطفة الحب العميق لله ولرسوله ولرسالته التي تسمو على كل عاطفة وتهون في سبيلها كلُّ العلائق ، علائق الأبوة ، والبنوَّة والأخوة والزوجية والعشيرة وعلائق المال والتجارة والمسكن ويقوم على أساسها التقدير العاطفي لكل موقف ولكل واقع .

ثانياً : إن الطريقة العامة للإسلام لما كانت قائمة

على مزج الفكرة بالعاطفة جاز للدعوة الإسلامية أن تمزج الفكرة بالعاطفة في تبشيرها ووسائلها وأن تعتبر العواطف الموجودة في المجتمع التي تساعدها على إنجاح سياستها ، من القوى التي تتملكها في سبيل التبشير ولكن شريطة أن يتوفر في تلك العواطف الطابع الإسلامي بأن تكون قائمة على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الإسلام العامة .

وأما العواطف السطحية المائعة التي لا تستند إلى مفهوم والتي يثيرها الإحساس أكثر مما يثيرها الفكر فليس من الصحيح للدعوة أن ترتكز على هذه العواطف لأن انتشار هذه العواطف المنخفضة الذي يؤدِّي إلى سيطرتها في المجتمع يشكل خطراً على الدعوات الفكرية التي تحاول الإرتفاع بذهنية الأمة إلى المستوى الفكري والتسامي بها عن المشاعر المرتجلة والأحاسيس الساذجة .

وأكثر من تلك العواطف السطحية خطراً العواطف التي تستمد جذورها النفسية من مفاهيم فكرية تتعارض مع مفاهيم الدعوة ، وإن أمكن للدعوة أن تجند تلك العواطف

في سبيل الوصول إلى هدف معين وتحطيم قوة معارضة في الميدان أو أن تستخدمها وتستثمرها إلى فترة معينة كما تفعل بعض الدعوات التي تتستر في كثير من مراحلها بواجهات تستهوي عواطف الناس بالرغم من مناقضة مفاهيمها لتلك العواطف .

إن دعوة فكرية كالدعوة الإسلامية التي تستهدف قبل كل شيء امتلاك واقع الأمة العقلي والنفسي وصبه في قالبه الفكري والعاطفي ، لا يمكنها بحال من الأحوال أن تنتهز العواطف التي تقوم على غير مفاهيمها وتستغل تلك العواطف في سبيل مصلحتها فتواكبها إلى نصف الطريق . لأن في مواكبتها مساندة للواقع الفاسد الذي لم تقم الدعوة إلا لتغييره وقلبه .

وعلى هذا فالسياسة العامة للدعوة الإسلامية تجاه العواطف الموجودة في الأمة هي استثمار ما كان منها إسلاميا لحساب الرسالة وللدفع بها إلى الأمام في معركتها مع الكفر القائمة في كل مكان . والتعالي بالأمة عن العواطف المنخفضة وكنس ما يوجد لديها من عواطف ذات طابع فكري معارض للإسلام، وتبديلها بعواطف

صحيحة تدور في فلك الرسالة الإسلامية وبكلمة واحدة إنَّ الدعوة تحاول أن تربط دائما بين المفاهيم والعواطف وَتُفَجِّر في نفسية الأمة العواطف التي يتوخاها الإسلام من تلك المفاهيم .

ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر الأمة ، وفي المجال النفسي بمدى إنسجام عواطف الأمة مع تلك المفاهيم ، وبمقدار ما يُولِّد الإيمان بالرسالة من عاطفة الحب لها والمفاداة في سبيلها والخشوع لها خشوعا ينعكس في كل قول وعمل ﴿ أَلَم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ .

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا ومعالمها الرئيسيّة

لكل رسالة معالمها الرئيسية التي تحدد كيانها الخاص وتميزه عن كيانات الرسالات الأخرى . وتختلف الرسالات في هذه المعالم تبعا لاختلافها فيما ترتكز عليه من أفكار ومفاهيم ويمكننا تلخيص المعالم الرئيسية لرسالتنا الإسلامية في الأمور التالية :

أولاً : النظرة الروحية إلى الحياة والكون بصورة عامة ، ولا تعني الروحية هذه إنكار المعاني المادية للكون أو حصر نطاق الوجود في الروح والروحيات كما يشاء الكثير من الكتاب الأوروبيين أن يُفَسِّروا النظرة الروحية بذلك . فالإسلام يعترف بالحقائق الروحية والمادية وإنما يربط تلك الحقائق جميعا بسبب مشترك أعمق وهو الله تعالى . فالنظرة الروحية في جوهرها إذن عبارة عن إدراك

صلة الحياة والكون بالله وانبثاقها عن قدرته وتقديره وبهذا المعنى يمكن أن نعتبر الكون بصورة عامة روحياً لأن تلك الصلة بالمبدع الخلاق صلة الخلق والإبداع ـ تشمل المادة كما تشمل الروح وتنفذ إلى سياستها جميع محتويات الكون وحقائقه .

وليست هذه النظرة الروحية التي تتمثل فيها الحقيقة الكبرى للكون نظرية مجردة ، وإنما تتصل بالوجود العملي للإنسان كل الإتصال وتحدد له موقفه من عالمه الذي يعيشه والحياة التي يحياها ويستمد الانسان منها ، أو على ضوئها اتجاهه العام الذي ينعكس في كل نشاطاته وأفعاله .

ثانياً : الطريقة العقلية في التفكير ، إذ توجد طريقتان للتفكير إحداهما (**الطريقة العقلية**) التي تعتبر العقل حاكماً نهائياً ومقياساً أساسياً تقاس على ضوئه الأفكار ، والمعلومات لامتحان مدى صحتها وموضوعيتها والأخرى هي الطريقة (**التجريبية**) التي تُقصي العقل عن هذا المجال وتسلب منه وظيفته الأساسية هذه في الحياة الفكرية ، وتضع موضعه التجربة مدَّعية أنها هي الأساس

الوحيد لكل ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من حقائق واستنتاجات .

والواقع أن كلاً من العقليين والتجريبيين وقع في خطأ كانت له أسوأ النتائج . فالعقليون الذين نادوا بالعقل مقياساً لم يطبقوا عملياً هذا المقياس وحسب ، وإنما أفرطوا فحصروا بحوثهم في النطاق العقلي وكلفوا العقل المجرد أن يزودهم بالحقائق والمعلومات حتى في الميادين والمجالات التي ليست من حقه ، وبذلك ضاعت عليهم فرصة الاستفادة من المعين التجريبي وما يتدفق به من حقائق ونتائج . ومن أوضح الأمثلة لذلك ما شغل بال العقليين قروناً متطاولة من الزمان حين حاولوا أن يتعرفوا على ما إذا كانت المادة متكونة من أجزاء وذرات يتخللها الفراغ أو متصلة إتصالا حقيقيا لا فراغ فيه .

لقد خيل للعقليين أنهم يستطيعون أن يصلوا إلى الكلمة النهائية في البحث عن طريق العقل وحده ومنها نشأت النظريتان : (**الاتصالية والانفصالية**) وقام الصراع عنيفا بين هؤلاء وأولئك من الاتصاليين والانفصاليين بعيداً عن التجربة ووسائلها فلم يصلوا إلى نتيجة حاسمة لا

لشيء إلا لأن العقل بطبيعته حيادياً في مثل هذا الموقف وما يشابهه من المواقف التحليلية للكون ، فهو لا يستطيع أن يدرك بصورة مستقلة عن التجربة ما إذا كان الجسم مؤلفاً من ذرات أم لا . ولو أن العقليين انصرفوا إلى التجربة واستنطقوها ثم رجعوا إلى العقل كمفسر نهائي لظواهر التجربة ونتائجها لوصلوا إلى خير كبير هو أفضل ألف مرة من هذا الجدل العقيم . وهكذا أخطأ العقليون حين لم يعرفوا ـ عمليا على الأقل ـ ما هي وظائف العقل بصفته مقياسا أساسيا للفكر .

وكما أخطأ هؤلاء . أخطأ التجريبيون أيضا الذين اتجهوا اتجاهاً معاكساً تماما ، كرد فعل للإتجاه العقلي السابق فآمنوا بالتجربة وقدرتها على استكشاف الحقائق والأسرار وظنّوا في غمرة من نشوة الظفر بما توصلوا إليه من معلومات تجريبية أنهم استغنوا عن خدمات العقل لأنه مما لم تتكشف عنه التجربة بعد . وكان من نتائج ذلك أن تحرر كثير من أنصار التجربة من الحقائق الروحية الخارجة عن نطاق التجربة المعملية ، وخسر العقليون الثروة التجريبية الضخمة كذلك خسر التجريبيون الثروة العقلية الروحية الجبارة .

وأما الإسلام فقد وقف من الفريقين الموقف الصحيح ورسم الطريق اللاحب للفكر الإنساني الذي يضمن للإنسان أفضل النتائج في كل الميادين ويحول بينه وبين الألوان العقيمة من الجدل الذي مُنِيَ به العقليون كما يحول بينه وبين المادية المُسِفَّة التي انتهى التجريبيون إليها . وتلخص هذا الطريق في أن العقل يجب أن يؤخذ كمقياس للأفكار وحاكم فصل نُلقي بين يديه المعلومات التي حصل عليها الإنسان عن طريق الملاحظة الحسية أو التجربة العملية ، لينظمها ويستنتج منها ما تنتجه من حقائق مادية أو حقائق خارجة عن حدود المادة ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا . . .** ﴾ (الحج ٢٢ / ٤٦) . فليس السير في الأرض وما يشير إليه من ألوان التأمل التجريبي في حقائقها مغنياً عن العقل وليس العقل مغنياً عن السير في الأرض ودراسة حقائقها بالطرق الحسية والتجريبية .

فالأخذ بالتجربة واستثمارها واستنطاقها صحيح كل الصحة ولكن شريطة أن لا يلغى العقل ولا يحبس الإنسان نفسه في حدود حِسِّهِ التجريبيّ ، بل يحكم عقله فيما

يحس ويجرب ليستنتج ما وراء التجربة استنتاجاً عقلياً متسقاً .

ثالثاً : المقياس العملي العام الذي بَشَّر به الإسلام على أساس نظرته العامة للحياة والكون . فما دام الإنسان مرتبطاً بخالق وهبه الحياة وكل محتوياتها ، وإطاراتها المادية والمعنوية يجب أن يكون مقياسه في الحياة هو رضى الله تعالى ، بأن يكيّف حياته طبقا لرضاه جل شأنه : ﴿ **وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظيم** ﴾ (آل عمران ٣/ ١٧٤) . وهذا المقياس العملي يشمل جميع الميادين العملية للإنسان من فردية أو إجتماعية ويشمل مختلف الحقول الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية .

فالإسلام يحتم على الإنسان أن يسير في كل هذه المجالات طبقا لرضى الله سبحانه وتوجيهه . ويمتاز هذا المقياس عن أي مقياس آخر يقدمه فلاسفة الأخلاق عادة بمميزات أساسية فهو مقياس من النظرة الروحية العامة إلى الحياة والكون وليس مقياسا مرتجلا كما أنه يزيل كل تناقض من الصعيد العملي ، على عكس كثير من

المقاييس التي يقدمها فلاسفة الأخلاق كاللذة أو المنفعة ونحوهما من مفاهيم غائمة أو غير محددة . فإن الناس في المجتمع الواحد يتناقضون في لذاتهم ومنافعهم . كما تتناقض المجتمعات البشرية المختلفة في هذه المقاييس أيضا فما كان فيه منفعة فرد أو مجتمع ، أو كان ملذاً لهما قد يكون مضراً بفرد أو بمجتمع آخر . وإيمان الانسانية بهذه المقاييس الخلقية الناقصة هو الذي جر عليها كثيرا من ألوان البلاء وألقى بها في دوامة من الصراع والنزاع . وأما حين تأخذ الانسانية بالمقياس العملي الذي ينادي به الإسلام فسوف يزول كل لون من ألوان الصراع والتناقض لأن رضى الله تعالى لا يتناقض ولا يختلف .

وبهذا المقياس وحده يمكن إنشاء المجتمع المطمئن المتعاون الذي إن ساده شيء من روح التنافس فإنما يوجد هذا التنافس على مقدار ما يحصل عليه من رضى الله وليس على مقدار ما يكسبه من المصالح الخاصة والمنافع المادية .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا يجب أن تكون قاعدة

إن للحضارة الغربية بأفكارها ومفاهيمها وكيانها الثقافي عامة قاعدة فكرية تستند إليها وهي (الديمقراطية) أو بالأحرى الحريات الرئيسية في المجالات الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية . فإن هذه الحريات بمفهومها الحضاري الغربي هي حجر الزاوية في ثقافة الغرب والإطار الفكري الذي تدور في نطاقه الأفكار والمفاهيم الغربية عن الإنسان والحياة والكون والمجتمع وحتى أنه لعب دورا رئيسيا في تحديد الإتجاه العام لمفكري الغرب فيما يسمونه بالعلوم الإنسانية والاجتماعية فلم تستطع البحوث الانسانية لهؤلاء المفكرين أن تتجرد عن تأثير الرسالة التي يعتنقها الباحثون كقاعدة عامة .

وليس تأثر قوانين الاقتصاد السياسي بالحرية

الاقتصادية وتأثر الاتجاهات السيكولوجية لبعض مدارس علم النفس التحليلي التي يتزعمها « فرويد » وغيره من اللاشعوريين بالحرية الشخصية إلا من الأمثلة الواضحة لما نؤكد عليه من الصلة الوثيقة بين أفكار الحضارة الغربية وبين القاعدة الفكرية التي تستند إليها ورسالتها الاجتماعية التي تدعو وتبشر بها .

وكذلك الأمر تماماً فيما يتصل بالحضارة الماركسية التي تنافس الحضارة الرأسمالية في كل الميادين ، فإن رسالتها الفكرية التي تدعو إلى نظرة مادية معينة تجاه الكون والحياة ، والمجتمع والتاريخ هي القطب المركزي الذي ينعكس إلى حد ـ قصير أو طويل ـ في كل المفاهيم والأفكار الحضارية التي تتبناها الماركسية ويؤمن بها مفكروها .

ونحن بطبيعة الحال لا نعني من احتلال الرسالة مركز القاعدة من التفكير في الحضارة الأوروبية ، أن الرسالة استطاعت أن تمون المفكر مباشرة بكل ما يحتاجه من مفاهيم ومعارف في كل الحقول والميادين ، إلى الدرجة التي تصبح كل معرفة منبثقة عن الرسالة ، ومتفرعة عن القاعدة الرئيسية المفترضة بل الواقع أنَّ وضع الرسالة

في الموضع الرئيسي من التفكير الحضاري ، إنما يعني محاولة التوفيق بين جوهر الرسالة وروحها وبين الأفكار الحضارية المتبناة . إذ من المنطقي والطبيعي أنه ما دامت الرسالة صحيحة فعليها أن ترفض كل فكرة تتصل بالميادين الانسانية إذا كانت تناقض تلك الرسالة . فالأفكار التي تتكون منها كل حضارة ذات رسالة تخضع لمقاييس تلك الرسالة وتتجنب مناقضتها سواء أكانت مستنبطة منها أم لا .

هذا هو الواقع الذي يتبين بكل وضوح لدى دراسة كل من الكيانين الحضاريين المتصارعين اليوم على مسرح التفكير الأوروبي .

وأما موقفنا من هذا الواقع فهو :

أولاً : أن نكون على حظ عظيم من الدقة ، والوعي حينما نبحث عن الأفكار الأوروبية ، لأجل أن نستطيع تعريتها عن إطارتها الرسالي ، والتعرف على مدى صلتها بهذا الإطار وتأثرها به .

وهذا هو الموقف الوسط الذي يجب أن يقفه المسلم الواعي من كل تفكير أوروبي يتصل ـ من قريب أو

بعيد ـ بالحقول التي تعالجها الرسالة وتمتد إليها القاعدة الفكرية ، فليس من الصحيح إغفال هذه الناحية الخطيرة ـ ناحية الصلة بين الفكرة ودراسة الفكرة ـ بغض النظر عما قد يكون لها من إطار خاص أو قد يكون فيها من استيحاءات مستمدة من القاعدة الفكرية ، كما يفعل كثير من الباحثين المسلمين اليوم مع أفكار كثيرة من علماء الاجتماع ، والنفس والتاريخ الأوربيين . فإن أول نقطة يجب التأكد منها قبل كل شيء هي البحث عن مدى صلة الفكرة المبحوث عنها بالقاعدة التي ثبت لدينا خطأها ، وعلى ضوء هذه الصلة يحب أن تتركز نظرتنا إلى الفكرة والحكم لها أو عليها بما نستخلصه من البحث والدراسة .

كما أنه ليس من الصحيح أيضا ما يتجه إليه بعض الدعاة المسلمين من الحكم على كل تفكير أوروبي يتصل بالحياة الإنسانية بأنه خطأ لأنه مستنبط من القاعدة ، وما دامت القاعدة خطأ فما يستنبط منها خطأ أيضا . فإن استنباط الفكرة من القاعدة ـ في المجالات النظرية ـ لا يعني أنها مستنتجة منها ، استنتاجا ، ومتوقفة في مصيرها على القاعدة نفسها ، وإنما يعني ـ كما ألمعنا إليه ـ أن الفكرة صيغت بالشكل الذي لا يتناقض مع تلك القاعدة ،

سواء أكانت مستمدة منها بصورة مباشرة أم لا ، والقاعدة وإن كانت خطأ ولكن ليس من الضروري في كل فكرة لا تتناقض مع الخطأ أن تكون خطأ .

وثانياً : من واجب المسلمين الواعين أن يجعلوا من الإسلام قاعدة فكرية وإطاراً عاماً لكل ما يتبنون من أفكار حضارية ومفاهيم عن الكون ، والحياة والانسان والمجتمع ، ولا شك أن العقيدة الدينية نفسها تعني هذا الشيء وتفرضه موجوداً لدى المتدين ، غير أن العقيدة الدينية لما كانت تعيش اليوم في نفوس كثير من الناس مجردة عن وعي حقيقي يسندها، نجد أن جمهرة من المسلمين لا يعون المكان الطبيعي الذي يجب أن تحتله رسالتنا الفكرية الأصلية من التفكير العام .

وليس هذا الفرق الذي نجده بين رسالتنا الإسلامية والرسالات الأوروبية في مواضعها من التفكير العام ناشئاً عن طبيعة تلك الرسالة وإنما هو نتيجة الاختلاف فيما يرافق كل رسالة في ذهنية أصحابها من درجة الوعي والشعور .

ولا نشك أن هذا الإحساس الأليم بالحاجة إلى

الرسالة البناءة في كل الميادين الفكرية ، والعملية ، هذا الإحساس الذي يسيطر على الأمة ، وأن هذه اليقظة الخيرة التي بدأت تباشيرها تبدو هنا وهناك ، وأن هذا الموج المعنوي المتزايد الذي بدأ يفجِّر تياراً من الشعور الإسلامي لا نشك في أن هذا كله يؤكد أن رسالتنا المقدسة إنما بدأت تسير في طريقها إلى مركزها الطبيعي ، إلى مركز القاعدة الفكرية من الذهنية الإسلامية ، وذلك حينما يستأنف المسلمون إيمانهم بالرسالة إيمان وعي لا إيمان تقليد ، وإخلاصهم لها إخلاصاً أصيلاً لا إخلاصاً سطحياً يعتمد على الوراثة والبيئة فحسب .

﴿ سَنُرِيْهِم آياتِنَا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟﴾ فصلت/ ٥٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ»
آل عمران /١٠٣

«لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» الحشر / ١٤ .

رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للوحدة

الوحدة في كل ما يجب أن تكون فيه وحدة شعار من شعارات الاسلام الكبرى التي لا يفتأ الاسلام يدعو إليها وتحقيقها في الواقع المعاش لتكون لهم القوة، والمنعة، والغلبة حين يلتحمون مع عدوهم في صراع.

وهذه الوحدة التي دعا الاسلام أتباعه إلى تحقيقها تتميز في أصولها وفي مظاهرها عن الوحدة التي تبشر بها

الرأسمالية الغربية والاشتراكية الماركسية.

ففي المجتمعات الرأسمالية تجد المجتمع موحداً في الظاهر ولكن الوحدة فيه تقوم على وحدة المصالح الشخصية والحزبية أو الطبقية فإذا حدث ما يهدد مصلحة من هذه المصالح حدث الانشقاق والتصدع وتبين أن الوحدة الظاهرة كانت سرابا خادعا. وأظهر مثل على هذا **(فرنسا) التي تصدعت وحدتها في أخطر ساعة من ساعات وجودها وكانت النهاية هي إنهيارها أمام الغزو الألماني في ساعات.**

وفي المجتمعات التي تدين بالماركسية ومن قبلها المجتمعات النازية والفاشية نجد المجتمع موحداً في الظاهر أيضا ولكنها وحدة مفروضة من خارج، وحدة تقوم على إنكار كل قيمة حقيقية للفرد الانساني ولما له من مجال خاص يجب أن ينمو فيه نمواً حراً يتيح لكافة قواه أن تبدع وتزدهر، وحدة تقوم على القسر ولا تقوم على الطواعية والاختيار، وحدة يفرضها إرغام الدولة ولا يبعث اليها الشعور النابع من العقل والقلب، ومن ثم فمصير وحدة كهذه إلى زوال عند أول فرصة تلوح للأفراد الذين يتوقون إلى تحقيق ذواتهم، وكل وحدة لا تنشأ من داخل،

وحدة مزيفة لا تلبث أن تزول لأنها لا واقع لهافي نفوس الافراد. إن الوحدة الصحيحة هي المعبرة عن حاجة نفسية عميقة توشج بين الأفراد برباط من الحب والمودة والإلفة ولا شيء كالدين يمكن أن يبعث على وحدة من هذا القبيل والوحدة القائمة على الدين هي الوحدة النابعة من القلب الثابتة، الراسخة مهما تنوعت مصالح الأفراد والأحزاب والطبقات لأنها وحدة تقوم على أصل ثابت عند الجميع مشترك بين الجميع.

وهذه هي الوحدة التي دعا الله تعالى عباده المتقين إلى تحقيقها، فهي ليست وحدة المصالح وليست وحدة الإرغام وإنما هي وحدة تنبع من القلوب المؤمنة بالله. العاملة لله الداعية إلى الله، إن الوحدة التي دعا إليها الاسلام هي الوحدة المسايرة لواقع الكائن الانساني، إنها الوحدة التي تترك للفرد مجاله وشخصيته وتهيىء له جميع وسائل النمو والابداع والتفتح وتوازن بين طاقاته فلا تغلب فيه طاقة على طاقة ولا استعداد على استعداد. والاسلام يساير الواقع فلا يدعو المسلمين إلى الوحدة، ثم يترك في صميم الكيان الاجتماعي العناصر التي تهددها أن يعنى بما يوفر لهذه الوحدة الثبات والديمومة أنه ينظم مصالح الأفراد

والطبقات والمصالح العامة ويوفر لها الانسجام فلا يتصادم فتؤدي بالمجتمع إلى التصدع والإنحلال.

إنه يعني بكل ذلك، ويهيىء له الحلول العادلة الصحيحة ثم يدعو إلى الوحدة، وهذه الوحدة النابعة من القلوب ليست مظهرا للمسلمين وحدهم وإنما هي مظهر لكل المؤمنين المصدقين برسالات السماء.

وقد تحققت هذه الوحدة بين المسلمين في أروع مظاهرها على عهد رسول الله(ص) وعمل سادة المسلمين وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام على الاحتفاظ بها بعد رسول الله(ص) ما وسعهم وبها تحققت للمسلمين الغلبة على أعدائهم الكثر. وقد كان أعداؤهم على خلافهم في ذلك، كانوا متفرقي النفوس، موزعي القلوب كل نفس لها غاية وكل قلب له هوى، ومن هنا هوّن الله من شأن اليهود ـ أعداء الاسلام التقليديين ـ حين كشف عن ضعفهم الناشيء عن تفرق بقوله تعالى: «بأسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ، تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى..» أما المسلمون فكانوا كما قال تعالى: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» مرصوص في مظهره ومرصوص في معناه توحده وتلاحم بين أجزائه

النظرة الواحدة إلى الكون والحياة والانسان، والفكرة الواحدة عن الوسائل والأهداف.

ولكنْ واقع المسلمين الزاهر الباهر تغير حين تغير المسلمون، ! بعدوا عن الاسلام وتوزعت قلوبَهم وعقولَهم دعواتٌ أخرى غير الاسلام واستأثرت بنشاطهم غيرُ أهداف الاسلام. **«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»** الرعد /١٣.

واليوم يواجه الوجود الاسلامي في العالم واقعاً كالحاً، واقع الاستعمار والصليبية الحاقدة والنزعات المادية الالحادية يواجههم وهم متفرقون، متفرقون على كل صعيد.

الدعوات الضالة المضلة تتوزع ناشئتهم وتبعدها عن الاسلام. والأفكار والتصورات الوثنية تقيم الحواجز الفكرية والعاطفية فيما بينهم، فقد أفلح الاستعمار في أن يقيم الحياة المعاصرة في كثير من المجتمعات الاسلامية على أصول فكرية وعاطفية ترجع إلى عهد سابق على إسلام هذه المجتمعات. لقد أحيا الشخصية الوثنية الجاهلية القديمة لكثير من مجتمعات المسلمين، وبذلك حال بين هذه المجتمعات وبين أن تلتقي على الاسلام،

وفتت وحدة المسلمين حين وجه قلوبهم وعقولهم نحو أهداف الاسلام.

واليوم وهذه حالة المسلمين في تفرقهم وتشتتهم وتوزع عقولهم وقلوبهم. تقوم في قلب العالم الاسلامي في فلسطين جماعات من الناس لا يجمع بينها وطن ولا لغة. ولا ثقافة ولا عادات ولا تقاليد. شراذم تجمعت من قارات الدنيا كلها تريد أن تبني لنفسها وجودا مستقلا، كيانا متميزاً يقوم على وحدة الدين ولا شيء غير الدين. ولذلك فهي تطبع كل مظهر من مظاهر وجودها بهذا الدين لتبرز هذا العنصر المشترك بينها وتقيم وجودها عليه.

هؤلاء هم اليهود، وهم ماضون في تجربتهم هذه، مصرون عليها.

هذه التجربة التي يقوم بها يهود اليوم تحت سمع المسلمين وبصرهم وفي بلد من بلاد المسلمين اغتصبوه وأعانهم على ذلك أعداء الاسلام والمسلمين هذه التجربة تضع المسلمين وجها لوجه أمام قضية وجودهم كمسلمين ومصيرهم كمسلمين. إنهم إذا لم يركزوا وجودهم المعاصر على الاسلام ولم يستلهموه في حلٍّ مشاكلهم ولم

يتبعوا مبادئه في حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غير المسلمين فسيبقون لقمة سائغة لكل طامع وهدفا سهل المنال لكل مستعمر غاشم ولئن تخلصوا من ذلك كله بما سيكون لهم من قوى مادية متفوقة فستحطم وجودهم وتسمم حياتهم وتصيبهم بألوان من البلاء والآفات التي تعاني منها المجتمعات غير المسلمة في العصر الحديث.

فعلى المسلمين أن يعوا أن خلاصهم الوحيد بالاسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ» آل عمران / ١١٠.

رسالتنا وواقع الأمة الإسلامية

للأمة المسلمة ملامح تفردت بها من بين سائر الأمم التي صنعت تاريخ كوكبنا هذا.

فهي أمة لا تقوم على وحدة العنصر والدم لأنها تحتضن كل العناصر والسلالات.

ولا تقوم على وحدة الموقع الجغرافي لأفرادها فقد كان أفرادها ولا يزالون من جميع الأوطان

ولا تقوم على وحدة اللغة فقد ضمت صنوفا من الناس ذوي لغات شتى.

إنها لا تستمد مقومات وجودها من أكثر ما تواضع

الناس على إدخاله في معنى الأمة، واعتباره مقوماً لها، وركنا أصيلا فيها وإنما تقوم على أصل واحد كبير هو وحدة العقيدة ووحدة الايمان، وحدة العقيدة الشاملة الجامعة لما عظم وهان من شؤون الانسان في الدنيا والآخرة جميعا، ووحدة الايمان بهذه العقيدة، الايمان الذي يقرب بين البعيد البعيد حتى لكأنهما إخوان، لأن وحدة الوسائل والغايات، ووحدة المطامح والآمال، ووحدة السلوك هي التي آخت بين القلب والقلب، وواشجت بين الروح والروح.

وهذا ما جعلها أمة فريدة في التاريخ. فهي أمة «أخرجت للناس» بعد أن لم تكن. أخرجت إخراجا وصنعت صنعا. صنعت على عين الله بما رسم من حدود وما شرع من أحكام وصيغت ملامحها وفق حدود الله وأحكامه التي أكسبتها معنى الأمة يوم لاحمت بين أفرادها، وواءمت بين عناصرها ووحدت بين وسائلها وأهدافها.

وهي أمة (أخرجت للناس) فلم تكن (في) الناس ككثير من الأمم همها أن تصون ذاتها من الأخطار وأن تكسب لنفسها الرخاء والدعة والأمن وإن حاق بالعالم الدمار.

ولم تكن أمة أخرجت (على الناس) بلاءاً وسوط عذاب تهلك الحرث والنسل ولا تؤمن إلا بشريعة الغاب وإنما هي أمة (أخرجت للناس) رحمة وبشير خلاص وعامل ازدهار للبشرية جمعاء. ومن هنا كانت خير أمة أخرجت للناس وستكون خير أمة أخرجت للناسَ ما أخذت نفسها بالسير وفق الإسلام، العقيدة التي صاغت وجودها بعد أن لم يكن لها وجود.

وإذن فكونها خير أمة نابع من رسالتها إلى سائر الأمم رسالتها التي هي مصدر عظمتها وشقائها.

مصدر عظمتها حين تضطلع بمهمتها الكبرى فتعمل ـ وفق أحكام الله ـ لأداء هذه الرسالة ومصدر شقائها حين تنحرف وتزيغ وتمزقها الأهواء فتقعد عن القيام بدورها وبذلك تفقد مبرر وجودها الوحيد.

وفي عالمنا اليوم أمم كثيرة تدَّعي أن لها رسالة ولكن شتان بين رسالة ورسالة.

كان الانسان الأوروبي في عصر الاستعمار يدَّعي أنه إنسان ذو رسالة هي (عبء الرجل الأبيض) وقد مارس الانسان الأوروبي رسالته فاسترق وجوَّع وسدَّ منافذ العلم

والحضارة عمن تسلط عليهم من الناس، وخلّف عالما يئن من الجور والطغيان والعذاب عالما تمزقه البغضاء والحروب وأخطار الحروب.

أما رسالة الأمة المسلمة فهي نموذج آخر من الرسالات نموذج فذ لم يقدر لأمة من أمم الأرض أن تضطلع بمثله ذلك لأن رسالة الأمة المسلمة إلى العالم هي رسالة

وهي في كلمات: **«رسالة الحرية والعلم والحضارة والرخاء إلى كل إنسان»**.

وقد حمل المسلمون الأولون رسالة الإسلام هذه إلى عالم الأمس الذي انحلت فيه القيم وضمرت واستبدت فيه الغرائز بالناس وعملت عملها الخطير في تقويض الاجتماع الانساني فأحالته إلى معترك تناحري فظيع، فحققوا ـ في حدود ما استطاعوا ـ رسالة الإسلام وقدموا نموذجاً للانسان جديداً متكامل الشخصية، مفعما بالأمل النير الخير، ماضيا في السبيل الذي يحقق له السمو والنبل، ! وقدموا نموذجا للمجتمع رائعا (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ**

عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ ٱلْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.)
(الحديث)

والإسلام مدعو لأن يؤدي رسالته العظمى في عالم اليوم فالإسلام وحده هو الكفيل بإخراج الإنسان المعاصر من أزمته التي تؤدي به إلى الدمار، وهو الكفيل بصياغته من جديد، وإحلال التوازن في كيانه الذي مزقته الدعوات والفلسفات المجافية لفطرة الله، المعاندة لكلمة الله، وهو الكفيل بتحريره من جميع عبودياته: الفكرية والاجتماعية والمادية.

ولكن المسلمين لا يستطيعون أن يؤدوا رسالة الاسلام إلى عالم اليوم كما أدوها إلى عالم الأمس فصنعوا المعجزات.

لأن القائم بأداء رسالة يجب أن يحياها، وقد حمل المسلمون الأولون رسالة الاسلام وأدوها ما أسعفتهم قواهم وكانوا جديرين بحملها وأدائها لأنهم كانوا يحيون الاسلام أفراداً وجماعات، وكان كل فرد منهم إسلاماً حياً يسعى.

أما مسلمو اليوم فإن الدعوات الضالة المضلة قد

استعبدت عقولهم وأرواحهم وصرفتهم عن الاسلام إلى نهج في الحياة لا يلتقي مع الإسلام على صعيد، وتحول الاسلام في أنفسهم إلى شعور فردي مقطوع الصلة بالحياة، لا يبنيها، ولا يقوّم ما اعوج منها، وهم وهذا حالهم غير جديرين بحمل الاسلام إلى الانسانية الضالة المعذبة وأن عليهم لكي يكونوا خير أمة أخرجت للناس حقاً، أن يحققوا رسالة الاسلام في أنفسهم، في واقع حياتهم وسلوكهم، وحينئذ يقوون على حمل الرسالة وأدائها. وحينئذ يكونون شهداء على الناس كما وعدهم الله، وحينئذ يكونون خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ويحققون رسالة الاسلام.

ورسالتنا:

هي أن ندعو المسلمين إلى الله مولاهم الحق، ونفتح أعينهم على واقعهم السيىء وأسباب ترديه، ونرسم لهم سبيل النهوض من كبوتهم بشرح مبادىء الاسلام لهم، ورائدنا في كل ذلك قوله تعالى: «**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» آل عمران /١٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)
سبأ /٢٨

رسالتنا خالدة متطورة

الاسلام دين عالمي، وليس خاصا بأمة وليس محصورا في وطن وإنما هو للبشرية كلها في جميع الاوطان (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ) التكوير /٢٧.

وهو دين البشرية الاخير فلن يتلقى الناس رسالة غيره من السماء حتى يكتب لهذا العالم الفناء، ومن هنا كان نبي الاسلام (ص)خاتم الانبياء (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ). الاحزاب /٤٠.

وهو دين يتناول الانسان من جميع أقطاره: جسداً،

وروحاً فرداً ورب أسرة وعضواً في مجتمع، مكافحاً في سبيل العيش، وعابداً مسالما لغيره من الناس ومحاربا. إذن فهو دين ينظم شؤون الحياة جميعا.

والحياة الانسانية ليست جامدة، وليست متحجرة، وإنما هي متحركة ومتغيرة وهذه الحركة وهذا التغيير يشملان جميع مظاهر الحياة الانسانية، الأشكال المادية وعلاقة الناس بعضهم ببعض وأفكارهم وهما يؤديان بالأحياء وبمظاهر الحياة طورا إلى التقدم والتحسن وطورا آخر إلى التأخر والانحطاط.

وإذا كان الاسلام ديناً عالمياً يتناول الحياة الانسانية من جميع جهاتها فلا بد أن يكون له موقف معين إزاء ما يطرأ على مظاهر الحياة الانسانية من تبدل وتغير وتطور نحو الأحسن تارة وانتكاس إلى الوراء أخرى، فما هو موقف الاسلام؟

إن الاسلام دين البشرية الأخير فهو خالد ما بقي للانسان على ظهر الأرض وجود، ولكن كونه خالداً لا يعني أنه يقف موقفا سلبياً من كل تغير يطرأ على الأحياء ومظاهرِ حياتهم بل يقف موقفا إيجابيا من هذه التغيرات

فينميها ويوسع من مجالاتها إذا كانت تغيرات خليقة بأن تساعد الانسان والحياة الانسانية على التقدم والتحسن والازدهار ويرفضها ويمنع منها إذا كانت خليقة بأن تقعد بالانسان عن الغايات العليا التي أرادها الله له فالاسلام لم يجمد الحياة الانسانية في إطار معين لا تتعداه في أشكالها ومناهجها وأسلوب ممارستها بل أتاح للحياة الانسانية أن تنمو وأن يطرد تقدمها وازدهارها.

وما يطرأ على مظاهر الحياة الانسانية من تغير تارة يمس الطبيعة المادية التي تحيط بالانسان وأخرى يمس النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الحياة.

والقسم الأول من التغيرات يظهر فيما أتيح للانسان المعاصر من التقدم العظيم في أساليب انتفاعه بالطبيعة المادية والسيطرة عليها واستخدامها في تحسين شروط حياته اليومية.

ولا يقف الاسلام موقفا سلبيا من هذا التقدم الذي أحرزه الانسان المعاصر في هذا المجال بل هو يدعو المسلم إلى الاستمتاع به والمشاركة والابداع في مجالاته

لأنه ليس عدواً للتقدم والمدنية. بل هو حافز إلى التقدم وإنشاء المدنية.

والقسم الثاني من التغيرات يظهر في النظم الاجتماعية والاقتصادية المبتدعة التي تمخضت عنها الحضارة الغربية ومفاهيم الانسان الغربي عن الكون والحياة والانسان وموقف الاسلام من هذه النظم مما قد يستحدث فيها من تغيير وتبديل ليس موقف الرفض المطلق وليس موقف القبول المطلق لأن الاسلام كما أسلفنا دين ينظم شؤون الحياة جميعا ولذلك فلا بد من عرض كل تغير جديد يطرأ على مظاهر الحياة الانسانية في هذه المجالات على مبادىء الاسلام وأحكامه الخاصة بهذا المجال الذي طرأ التغير فيه، وحينئذ فما خالف أحكام الاسلام لا بد أن يرفض نهائيا وبصورة قاطعة وحاسمة. وأما ما اتفق مع أحكام الاسلام أو لم يخالفها ـ كما لو لم يرد تحديد خاص من الشارع في مسألة ما ولم تكن هذه المسألة من جزئيات مبدأ إسلامي عام ـ فإن الإسلام يرحِّب به بعد أن يطبعه بطابعه ويسبغ عليه روحه وسَمْته المميزة فمثلاً لا يمكن أن يقبل الإسلام وجهة النظر الغربية في حيوانية الانسان وماديته ومشروعية الربا ،

والمسألة الجنسية، وما إليها. ولكن ليس في الاسلام ما يحول بين العمال وبين ان ينظموا أنفسهم ويعهدوا إلى هيئة منهم تتولى النظر في مصالحهم وسبب اختلاف موقف الاسلام هنا عن موقفه هناك هو أن وجهة النظر الغربية في المسائل السابقة مخالفة لأحكام الاسلام، أما في المثال الاخير فإنه مبدأ حرية العامل في عمله وكسبه مبدأ أساسي في الدين الاسلامي وهذا المبدأ يجعل للعامل الحق في أن يمارس الوسائل المشروعة التي يجعله قادرا على تحسين مستواه المعيشي وليس لنا أن نمنع من ذلك لأنه لم يكن في زمان النبي (ص) ما دام المبدأ الاسلامي في العمل هو الحرية.

والاجتهاد ـ وهو مرتبة عالية من العلم بأحكام الاسلام ومبادئه العامة عن أداتها الخاصة ـ هو الوسيلة التي يتاح لفقهاء المسلمين بأعمالها أن يطبعوا الحياة الانسانية بطابع الاسلام حيثما كان له سلطان.

وهكذا فالاسلام خالد متطور: خالد في مبادئه وأحكامه في الكتاب العزيز والسنة المعتبرة ومتطور في أحكامه الثانوية لم يقيدنا الشارع فيها بنهج خاص وأسلوب

مخصوص وفيما ورد فيه حكم عام يتسع لما يطرأ على الواقعة الخاصة من أشكال مختلفة.

وهنا يأتي دور الحديث عن فكرة شائعة بين كثير من مسلمي هذا العصر حول تطور الاسلام، وكيف ينبغي أن يكون، فيرى هؤلاء أن أحكام الاسلام نفسها يجب أن تتطور وأن تتغير لتجاري الحياة الانسانية في مسارها ولئلا تنعزل عنها، وإذن فالاسلام كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) ليس صالحا لمعالجة الواقع الانساني القائم، ولأجل أن يكون كذلك يجب على المسلمين أن يصوغوا الاسلام صياغة جديدة تلائم الواقع المعاصر.

ومنشأ هذا الوهم هو السموم الفكرية الوافدة التي يعمل أعداء الاسلام على نشرها بين المسلمين ليجردوا الاسلام - في أنفسهم - من حيويته وأصالته وقدرته على الصمود، وهو وهم لا يمكن أن ينطبق على الاسلام بحال من الاحوال لأن الاسلام ليس قانونا وضعيا قامت بوضعه جماعة من الناس ذات مدارك وأفهام محدودة. ووعي للواقع الانساني محدود، طائفة من الناس محكومة بظروفها ووراثتها وحالات بؤسها ونعيمها وحبها وبغضها وغير ذلك من عوارض الانسان. ولو كان الاسلام شيئاً من

هذا القبيل لوجب تعديله وتطويره. وإلغاء شيء منه وإدخال شيء فيه، أما وهو ليس كذلك فلا يمكن الحكم عليه بمقياس غير مقياسه والنظر إليه على أنه كغيره من النظم الوضعية ذات المدى المحدود.

إن الاسلام ليس قانوناً وضعياً محدود المجال في الزمان والمكان وليس من وضع إنسان محدود الأفق، محدود الأهداف، وإنما هو نظام سماوي موحى به من عند الله عز وجل خالق الانسان والعالم بكل ما يصلحه وما يفسده. وقد اشتمل الاسلام على كل ما يصلحه في جميع أدواره وحالاته في دنياه وآخرته لو اتبعه وتمسك به وسار في حياته على هُداه، ولا تزال تجارب الانسانية البعيدة عن الاسلام تقدم الدليل تلو الدليل على أنه لن يصلح أمر الناس إلا بالاسلام ومناهجه ونظمه.

وإذا كان الاسلام كذلك فأين موقع الحديث عن تعديله وتطويره من الصدق والصحة؟ وإذا طورنا الاسلام على النحو الذي يلائم الأشكال الحديثة للنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فماذا نكون قد أبقينا منه؟ إننا في الحقيقة نكون قد ألغيناه من واقع الحياة، وحصرناه في الوجدان الفردي وسمينا النظم الغربية بإسمه، وهذا هو ما

يعمل له أعداء الاسلام والمخدوعون بهم من المسلمين.

إن الاسلام ليس في حاجة إلى التعديل، وليس في حاجة إلى التطوير والتحوير، وإنما الانسان هو الذي يجب عليه إذا أراد الحياة السعيدة النبيلة أن يطبق الاسلام على نفسه فرداً وأسرةً ومجتمعاً وعالماً ليصلح الاسلام أمره لأن الاسلام لم يوجد ليبرر ما في حياة الانسان من فساد وانحطاط وإنما وجد ليهذب هذه الحياة ويبعثها نحو الأهداف العليا التي أرادها الله للانسان.

وبعد

فلهؤلاء الذين يصرون على (تطوير) الاسلام في هذا العصر، نظراء في عصر النبوة وما سبق من عصور، إنهم هم الذين يحرفون الكتب، كتب الله تعالى ليشتروا بها ثمناً قليلاً من عرض الحياة الدنيا وقد قال فيهم الله تعالى (**وإنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ ألْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى ٱللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**). آل عمران / ٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا إنسانية عالمية

١

لا تكون العقيدة إنسانية إلّا حين يجد الانسان في رحابها المجالات التي تهيىء لكافة طاقاته جميع فرص النمو والازدهار وتوازن بين كافة جوانبه فلا تمكن لجانب بالتنكر لجانب آخر. ومن الواضح أن العقيدة لن تكون كذلك إلّا إذا عالجت الواقع الانساني على أساس الاعتراف بالانسان كما هو، وكما خلقه الله تعالى من غير تحوير، الاعتراف بكل طاقاته، وكل حاجاته، وكل كيانه المتطور وغير المتطور.

وعلى هذا فالاسلام هو الدين الانساني الوحيد بين العقائد والأديان التي عاصرته أو حدثت بعده، لأنه الدين الوحيد الذي يتجاوب مع الواقع الانساني بكل حاجاته

ومطامحه، ولعل من أبلغ النصوص القرآنية دلالة على ما نقول قوله تعالى:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ». الروم / ٣٠.

فالاسلام هو دين الفطرة الانسانية وهو يتجاوب مع هذه الفطرة، فلا يحرفها ولا ينكرها وإنما يعترف بها. والاسلام هو دين الكرامة البشرية «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ».

وليس حتما علينا أن نستوعب في حديثنا هذا كثيراً من الشواهد لنقيم الدليل على أن الدين الاسلامي دين إنساني فذّ بين العقائد والأديان وذلك لأن الحكم على أية عقيدة بأنها إنسانية أو غير إنسانية يتوقف على الموقف الذي تتخذه العقيدة من مسائل الانسان الكبرى: وضعية الانسان إزاء العالم الخارجي، والعقل الانساني والحرية الانسانية، وفكرة التقدم الانساني المستمر.

فلنتابع موقف الاسلام إزاء كل واحدة من هذه المسائل.

١ ـ **الانسان والعالم الخارجي**: إن الاسلام لم يعتبر

العالم الخارجي عدواً للانسان وشراً يجب الفرار منه والتجرد عنه مهما أمكن وإنما اعتبره مجال كفاح الانسان ونموه وتمدد قواه. وازدهار طاقاته. والقرآن الكريم حافل بأمثال هذه الآيات الكريمة التي يوجه فيها اللَّهُ الانسانَ إلى العالم الخارجي ليكتشفه ويتفاعل معه ويستفيد منه:

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ؟ الغاشية /١٧ ـ ٢٠

و«قُلْ ٱنْظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» يونس /١٠١

و«أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيءٍ» الأعراف /١٨٥

و«أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ» ق/٦

و«أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» الشعراء /٧

وغيرها

فعالم الطبيعة عند المسلم هو مظهر قدرة الله عزّ

وجلّ وعظمته، وهو مجال كفاح الانسان واستفادته، لأن عالم الطبيعة قد سخر للانسان.

«وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ جَمِيعاً منه» الجاثية /١٣

والانسان هو خليفة الله تعالى في الأرض.

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِني جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةٍ». البقرة /٣٠

وعلى الضد من هذا نجد موقف المسيحية من العالم الخارجي موقفاً سلبياً فالمسيحية ترفض عالم الطبيعة على اعتبار أنه شر ورجس، وعامل من عوامل الهلاك الأبدي للانسان. إن الانسان حسب التعاليم المسيحية يولد واللعنة الأولى تلاحقه والخطيئة الأولى تلوث كل وجوده ووظيفته أن يكافح في هذه الدنيا من أجل الخلاص والوسيلة الوحيدة للخلاص هي التجرد عن الدوافع، ورفض العالم الخارجي، والتخلص منه بأي ثمن. وبذلك ألغتِ المسيحية كلّ ما يصل الانسان بالعالم الخارجي من وشائج القربى الحميمة، وأقامت بين الانسان وبينه جداراً شاهقاً من الكراهية والخوف ومن هنا

كان موقف الانسان المسيحي حقاً من العالم الخارجي موقف متخاذل ومرسوم بالانهيار.

وقد اضطر الانسان الأوروبي المعاصر إلى أن يرفض المسيحية نفسها ليتحرر من أسر هذه النظرة وغيرها مما سنشير إليه. ولكن النظم الفكرية التي أقام عليها هذا الانسان حياته الجديدة كانت نظما غير إنسانية لأنها من أجل أن تصحح الشذوذ الذي أوجدته المسيحية بتطرفها قد تطرفت هي الأخرى أيضا فأهملت ـ في سبيل تعويض الانسان عما حرمته إياه المسيحية ـ الجانب الروحي من الانسان وهو ما يجعل لحياة الانسان معنى وهدفا، وهو ما لا يكون الانسان كائنا متفردا عن سائر الأنواع الحيوانية بدونه، واعتبرت الانسان موجوداً فيزيائياً صرفاً، وغلت في هذا الشذوذ غلوّاً شنيعاً. ومن هنا «غدا الرجل العصري ـ كما يقول ـ إقبال ـ بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمي، يجد نفسه في ورطة، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطانا على الطبيعة لم يسبق له مثيل، لكنه سلبه إيمانه في مصيره هو. . وقد استغرق في الواقع، أي في مصدر الحسن الظاهر للعيان، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده، تلك الأعماق التي لم يسبر غورها بعد. وأخف

الأضرار التي أعقبت فلسفة المادية هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه، والذي أدركه هكسلي. واعلن سخطه عليه».

أما الانسان المسلم فهو في مأمن من أن يفقد إنسانيته لأن العقيدة الاسلامية لم تضح بكيانه الروحي في سبيل أن تيسر له المتاع المادي بل يسرت له أن يلبي أشواق الروح وضرورات الجسد حين اعترفت بثنائيته وعالجته على هدى هذه الثنائية.

ويتصل بالحديث عن موقف الاسلام من العالم الخارجي الحديث عن موقف الاسلام من الغرائز الانسانية. فإن الغريزة هي القوة الحيوية الدافعة التي تتلاشى بدونها الحركة، أي أنها عبارة عن الشرط الداخلي للسلوك الانساني وهي التي تسبغ على الحياة حركتها وتدفقها. ولئن عرفت الحياةبأنها مجموعة الوظائف التي تقاوم الموت فإن من الحق أن تكون الغرائز من أهم ما يقوم باسباغ مظاهر الحياة على الكائن الحي. ومن هنا كان موقف الاسلام من الغرائز الانسانية موقفا إيجابيا فلم

يحاربها وإنما اعترف بها، وهيأ للانسان المسلم مجال التعبير عنها. قال تعالى:

«يا بَنِي آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا». الأعراف /٣١

«يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً» البقرة /١٦٨

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَ اللهُ لَكُمْ» المائدة /٨٧

ولكن الاسلام إذ يعترف بالغرائز لا يدعو إلى مادية صماء، ولا يبيح للانسان أن يستغرق في تلبية مطالب الغرائز بحيث يغدو حيوانا لا يعنى بما وراء المتاع الحسي من أهداف الانسان العليا، وبحيث يغدو كهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوْا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ» محمد /١٢

بل يدعو إلى المتاع المادي بقدر، ويدعو المسلم إلَى أنْ يوازن بين الروحي والمادي في حياته

«وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» القصص /٧٧

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» البقرة /٢٠١

هذا في الاسلام . أما في المسيحية فقد حوربت الغرائز الانسانية ولم يسمح للانسان بالتعبير عنها، فالتعبير عن غريزة القتال، ، وغريزة التملك، وغريزة الجنس وغيرها من الغرائز هي إثم عظيم. وليس عسيراً علينا ـ بعد هذا ـ أن نعرف لماذا رفض الانسان الأوروبي المعاصر المسيحية كدين ذي أثر في واقع الحياة.

وأما في الحضارة الحديثة فقد أطلقت الغرائز من عقالها. ذلك لأن من النتائج التي نشأت من نظرية داروين، زلزلة الايمان بالانسانية ورفعته وسُموِّه وروحانيته في ذهن الفرد المعاصر، حيث أوحت له هذه النظرية بما اشتملت عليه من أحكام قاطعة، وتعميات تجافي الروح العلمية ـ أنه لا يختلف عن سائر الفصائل الحيوانية، وفرض سلوك معين عليه يتسم بالطهارة والنقاء بلا مبرر.

وكانت عاقبة ذلك أن غدا الانسان الأوروبي المعاصر مغرقا في حيوانيته وماديته. أما الاسلام فهو الدين الذي أتاح للانسان أن يتمتع بحياته من غير أن يضيع اتجاهه الروحي.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا إنسانية عالمية

٢

٢ ـ الاسلام والعقل: لكي يكتشف الانسان عالم الطبيعة وينتفع بها ولكي ينمي الانسان ذاته، ولكي يتصل بالينابيع الحقيقية لوجوده ولكي يستخدم سلطانه على الأرض استخداماً حكيما لا بد له أن يستعمل العقل. والقرآن العظيم حافل بالآيات التي يستنكر فيها الله تعالى على الكافرين والضالين كفرهم وضلالهم لأنهم لم يستخدموا عقولهم استخداما حكيما، وما أكثر ما نعى على الجامدين المقلدين المعطلين لموهبة العقل جمودهم وتقليدهم. وهو حافل بالآيات التي تأمر الانسان بالتفكر واستعمال العقل في دراسة ظواهر الكون وتحليلها، واكتشاف القوانين التي تحكمها كقوله تعالى:

«إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» الروم /٢٤

«إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» الزمر /٤٢

«كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُواْ آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْا الأَلْبَابِ» ص /٢٩

وغيرها

هذا في الاسلام أما في المسيحية الرسمية فقد كان العقل يرسف في الأغلال ولم يتح للعقل أن يسترد سلطانه إلّا حين رفض المسيحية وما كان في مكنته أن يسترد سلطانه دون أن يرفضها فإن ما يتصل بعالم الألوهية من الكنسية ألغاز لا يمكن أن يؤمن بها إنسان يحترم عقله ومع ذلك فقد كانت الكنسية تفرضها، وتفرض الايمان بها وإلى جانب هذا كانت الكنسية الكاثوليكية تفرض تفسيرا للكون والطبيعة لا يجوز أن ينقض ولا يجوز أن يتغير ولما أثبت بعض العلماء خطأ (الحقائق الكنيسية) كان جزاؤهم الموت والتشريد وكانت الكنسية تقول (يد الله مع الكنيسة) وكانت تتخذ بذلك المبدأ مبرراً لأصدار الأحكام المتضادة في المسألة الواحدة لأن الله معها على كل حال وتتطلب من الناس أن يصدقوا ذلك.

هذه هي منزلة العقل الانساني في المسيحية

الرسمية، ولكن العقل تخلص في النهاية من هذا بأن تخلص من الكنيسة ونادى الانسان الأوروبي بسيادة العقل بدلاً من الدين وقد استمر سلطانه زمنا حتى أنزله عن عرشه الحسّيون الذين نادوا بأن مصدر المعرفة الحقيقي هو الطبيعة وليس العقل وغدا العقل مجرد انعكاس للمادة في الحس، وترتب على هذا تأكيد مادية الانسان وحيوانيته وانسلاخه من كل المعاني النبيلة التي لا يكون بدونها إنسانا، فكأن الانسان الأوروبي المعاصر قد سلب القدرة على أن يدرك أن من المستحيل أن تحل المشكل الانساني برفض ما لا تدركه حواسنا منه. وقد أشرنا آنفا إلى أن النظم الفكرية التي أقامها الانسان الأوروبي كبديل للمسيحية كانت أيضا غير إنسانية لأنها تنكرت للجانب الروحي في الانسان.

٣ ـ **الاسلام والحرية الانسانية**: ونعني بالحرية هنا الحرية الداخلية، حرية الاختيار والتصرف، لا الحرية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، فهل الانسان حر، هل يتمتع هذا الكائن بحرية داخلية تجعله سيد أفعاله وتصرفاته والنهج الذي يختطه لحياته ؟ .

إن الاسلام يعتبر الكائن الانساني كائنا حرا: يتمتع

بالقدرة على الاختيار وهو مسؤول لأنه حر إذ لا مسؤولية إلا مع الحرية. الانسان حرّ، شرّع الله تعالى له طريق الهدى ونهاه عن الضلال ومتعه بالعقل الذي يدرك ويميز، ووهبه القدرة على أن يختار، وأعطاه الارادة التي ينفذ بها الاختيار فيحيل الفكر إلى واقع حي:

«إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً» الإنسان / ٣.

«قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُم فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا» الأنعام م/١٠٤

«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» البقرة /٢٨٦

وغير ذلك من الآيات، والانسان مسؤول عن أفعاله:

«اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» الجاثية /٢٨

«مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» النساء /١٢٣

«وأن لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» النجم /٣٩

وغيرها

إيجابيا فاعلا، ويمجد العقل الانساني ويبعث الانسان على أن يستخدم عقله وفكره في اكتشاف أسرار الطبيعة، وينادي بأن الانسان كائن حر مختار، إنَّ دينا كهذا لا بد أن يبشر بالتقدم الانساني وبقدرة الانسان على أن يطور حياته على ظهر هذا الكوكب فيغنيها دوما بالجديد، ويزيدها بهاءاً وجمالاً.

وإذا شئنا أن نعرف مدى حفاوة الاسلام بالعلم وهو أداة التقدم الانساني وقعنا على المعجب الباهر في هذا الباب، فالكتاب والسنة حافلان بالشواهد على ما للعلم والعلماء من منزلة سامية في الاسلام.

والواقع التاريخي للمسلمين أعظم شاهد على هذا فما كادت تنتهي الفتوح الكبرى حتى توجه المسلمون بحماس منقطع النظير نحو تطوير حياتهم الجديدة فحققوا من التقدم ما لا يزال يذهل الباحثين. وكانوا السابقين إلى المنهج التجريبي في البحث العلمي، وكانت القاعدة عندهم كما يقول لوبون (جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفا).

أما الكنيسة فإنها على الضد من الاسلام لأن موقفها السلبي من عالم الطبيعة واستهانتها بالعقل الانساني جعلها

هذا في الاسلام، أما في الحضارة الحديثة فإن الأمر على الضد من ذلك، الانسان في الحضارة الحديثة كائن مسلوب الاختيار، مرغم على السير في خط معين لا يتعداه، ولا يستطيع أن يتعداه. وقد أسهمت مذاهب الاجتماع والاقتصاد والمدارس النفسية في تغذية هذه النظرة إلى الانسان. ولكن إذا جردنا الانسان من حريته الداخلية ونفينا أن يكون شيئا أكثر من هذه الكتلة المنظورة من المادة فماذا أبقينا من الانسان؟ وإذا نفينا الحرية فقد نفينا المسؤولية، وحين ترتفع المسؤولية ترتفع الأخلاق، إذ كيف نفرض على إنسان لا سلطان له على ذاته سلوكاً معيناً، وما الأخلاق إلا مجالات تمارس فيها الحرية الانسانية عملها. والارادة الانسانية وقد تمثل رد فعل على هذه الحتمية في وجودية (سارتر) الملحدة، فالانسان ! حسب النظرة الوجودية ـ حرية مطلقة ودفعة لا يقيدها قيد ولا يكبحها ضابط، فلا إله ولا دين، ولا أخلاق ثابتة، وهكذا يتمزق الانسان الأوروبي بين الدعوات المتضادة، دون أن يهتدي إلى السبيل القويم.

٤ ـ الاسلام والتقدم الانساني: إن الدين الذي يحمل الانسان على أن يقف من العالم الخارجي موقفا

عدوة لفكرة التقدم الانساني. بل إنها وقفت حائلا دون إدخال أنماط جديدة في حياة معتنقيها وطاردت ذوي العقول النيرة المرتادة من العلماء. ولم يحقق الانسان المعاصر هذا التقدم الباهر في ميادين العلم والاختراع إلا بعد أن رفض الكنسية.

ولكن الغربيين - بتأثير من نظمهم الفكرية الضالة - لم يقتصروا على استخدام المنهج التجريبي في البحث الذي تعلموه من المسلمين في ميدانه الأصيل وهو ما يدرك بالحس كما كان المسلمون يفعلون وإنما تجاوزوا بهذا المنهج ميدانه الأصيل إلى ما لا يمكن أن يخضع للتجربة الحسية وهو النفس الانسانية فزادوا انحرافاً وضلالاً.

والاسلام دعوة عالمية، وهي عالمية لأنها إنسانية، فدين الفطرة هذا لا يختص بطائفة من الناس دون غيرهم ولا تحجزه حدود وطن عن سائر الاوطان.

وليس يكفي في وصف الدعوة بالعالمية أن توجه نداءها إلى الناس أجمعين، بل لا بد أن تتناول هذه الدعوة ما هو مشترك في الانسان فتبعثه من الظلمات وتسلط النور عليه وتؤكده. وترفعه إلى مرتبة الشعور الواعي ولا بد أن

تحارب كل ما يدفع إلى التناحر والانقسام مما هو ليس جوهريا وليس حقيقيا في الانسان. أما مشاكل الحياة وتعقيداتها المتصلة بالمصالح الخاصة لكل فئة من الناس فلا بد من تنظيمها لئلا تكون عائقاً تقف دون وحدة قلوب الانسانية.

ولم تتوفر هذه الشروط إلا في الاسلام من بين جميع الدعوات المعاصرة سواء منها المستحدث أو القديم.

فالنبي محمد (ص) مرسل إلى الناس جميعا

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً» سبأ / ٢٨ .

والخطاب في كتاب الله موجه إلى جميع الناس بلا استثناء على اختلاف أوطانهم، وألوانهم ومراتبهم الاجتماعية وحظوظهم من الغنى والفقر. ونداء: **(يا أيها الناس)** نداء مألوف في القرآن العظيم.

والكتاب والسنة يؤكدان الأمور المشتركة بين الناس التي تجعل كافة الناس أسرة واحدة، أصلها واحد ومنشؤها واحد ومصيرها واحد.

«يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوْا رَبَّكُمْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءً» النساء /١

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ» الحجرات /١٣

وقد أعلن الاسلام حرباً شعواء على الحواجز اللونية والاجتماعية والقومية التي تفصل بين المجموعات الانسانية ونادى بأنَّ ما هو مشترك بين الناس هو الأصل وهو الجدير بالاستجابة وأما ما هو مفرق فليس إلاّ عارضاً لا يجوز أن يُجعل أساساً للتفريق والتحزب والانتقام وقد روي عن النبي (ص) (لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلاَ لِقُرَشِيٍّ عَلَى حَبَشِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى).

«أيها الناس: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلاَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَبْيَضَ وَلاَ لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ فَضْلٌ إِلاَّ بِالتَّقْوَى).

وقد اشتمل الاسلام على نظم لشؤون الناس

الخاصة والعامة تكفل لهم لو اتبعوها استقراراً في الحياة وانسجاما في العلاقات وقدرة على بلوغ الكمال الانساني المنشود.

وقد عرف العالم دعوات عالمية كثيرة عرف المسيحية الرسمية التي تدعي أنَّها عالمية مع أنَّ كتابها المقدس ينطق بأنَّ ما عدا شعب إسرائيل كلاب ولم تكن إنسانية في يوم من الأيام. وعرف الماركسية في العصر الحديث ويدَّعي أتباعها أنها عالمية ولكنها لن تكون إنسانية في يوم من الأيام لأنها مادية وقد كفرت بالانسان يوم جردته من مصدر عظمته ومن أعظم ميزاته وهو جانبه الروحي مصدر إنسانيته الوحيد وإذا لم تكن إنسانية فلن تكون عالمية لأنها تفقد الشرط الاساسي لذلك وهو الايمان بالانسان.

ويبقى الاسلام، والاسلام وحده، دعوة إنسانية عالمية، كذلك كان، وكذلك هو الآن، وكذلك سيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا فكرية إنقلابية

كانت حياة الانسان وما تزال ميدانا لألوان من الشرور، منها ما يعذب الانسان ويضنيه، ومنها ما يبهجه ويرضيه، ولكنها جميعا شرور ثم خيانة من حيث يشعر أو لا يشعر، وتقضي على بهائها وكمالها ولا ريب في أن معرفة منشأ هذه الشرور وأسبابها خطوة عظيمة يخطوها المكافحون من أجل سعادة الانسان وخلاصه، فما هي مناشىء هذه الشرور وما أسبابها؟

دعاة الاصلاح في العالم الغربي وفي المجتمعات المنفعلة به حضاريا يرون أن الفساد والانحطاط والشرور التي يعاني منها الانسان وتحفل بها حياته إنما نشأت من المؤسسات الاجتماعية التي يمارس الانسان حياته في أطرها، وعلينا لكي نصلح حياة الانسان ونهذبها أن نصلح

المؤسسات الاجتماعية، وحينئذ تحصل على إنسان كامل سوي التكوين.

أما الانسان فليس عاملا من العوامل التي توجد الشر والفساد لأنه كامل مستوف لجميع شروط الاصلاح وقد تمزق العالم بين الدعوات المختلفة التي تعالج الواقع الانساني بهذا الأسلوب، والذي يدلك على خطأ هذه الفكرة ومجافاتها للصواب، أن الانسانية لم تجن من وراء ما بشرت به هذه الدعوة شيئا سوى الحروب والبغضاء المدمرة الاكول. وإن نظرة واحدة إلى واقع الانسان المعاصر لشاهد بليغ الدلالة على ما نقول:

أما الاسلام وهو دعوة إنسانية عالمية شاملة لجميع مظاهر الحياة الانسانية تهدف إلى تهذيب هذه الحياة، والارتفاع بها دوما إلى ذرى جديدة من السمو والنبل، أما الاسلام فإنه لا يشجع على هذا الاتجاه في علاج الواقع الانساني ولا يؤمن بهذه الفكرة. فإنه لا شك أن لفساد المؤسسات الاجتماعية دخلا في الواقع الانساني وانحطاطه، ولكنه لا يعدو أن يكون عاملا ثانوياً أما العامل الرئيسي فهو الانسان نفسه، وذلك لأن المظاهر المدركة والمنظورة للحياة الانسانية ليست من صنع كائن خارج عن

الانسان، وإنما هي من صنع الانسان نفسه، فهو الذي يسبغ على حياته مظاهرها. ولذلك فهو يطبعها بطابعه الخيِّر أو الشرِّير ويفرغها في الصيغة الملائمة لمصالحه أو لموافقة أهوائه.

وإذن فمن الضروري لإصلاح الحياة الانسانية وتهذيبها أن يتناول الاصلاحُ الانسانَ وأن يُعاد تكوينه من الداخل على نحو يجعله متجاوبا ومنسجما مع فطرته ومع أهدافه العليا، ومع واقعه ومن الضروري أيضا لاصلاح الحياة التي يمارس الانسان حياته في أطرها وأن يطور هذه المؤسسات نحو الأفضل، نحو المستوى الذي يتيح للانسان أقصى قدر مستطاع من السعادة في هذه الحياة الدنيا. وحين يتم هذا وذاك نضمن ألاَّ ينحرف الانسان بالمؤسسات الاجتماعية نحو الشر والفساد ونضمن ألاَّ تسهم المؤسسات الاجتماعية في إفساد الانسان وبعثه إلى صنع الشر وممارسته.

وذلك لأن الانسان الخير سيعمل على جعل مؤسساته مرسومة دائما بطابع الخير الذي يطبع سلوكه.

هذه هي وجهة النظر التي تقوم عليها فكرة الاسلام

في الاصلاح، وأما أن نجعل المظاهر براقة ومثالية دون أن نبذل جهدا في إصلاح الانسان، فذلك جهد فاشل لأن الفساد حينئذ وإن اختفى عن الأعين إلى حين إلاَّ أنَّه سيظل ينخر في أعماقنا، وسيرغمنا على أن نفسد بأيدينا نحن هذه المؤسسات، وأن نلوث بأقذارنا نقاءها الظاهري.

وقد عالج الاسلام الواقع الانساني على هذا الاساس فلم يعمل لاصلاح الانسان دون أن يصلح المؤسسات الإجتماعية كما فعلت المسيحية والدعوات الصوفية ففشلت، ولم يعمل لاصلاح المؤسسات الاجتماعية دون أن يصلح الانسان كما فعلت المذاهب والدعوات الحديثة ففشلت أيضاً، وإنما أصلح الواقع والانسان فكانت المعجزة الكبرى التي لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل ولن يكون لها مثيلا إلا بالاسلام.

وسيبقى المبدأ الاسلامي الخالد (**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) الرعد/١١ (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ..**) الأنفال /٥٣ المصباح الهادي لجميع المصلحين.

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول أن الفكرة الاسلامية في الرسالة، فكرة إنقلابية ثورية لأنها تضع للانسان قواعده الرئيسية التي تتبلور طبقاً لها شخصيته الروحية والفكرية من نظرة عامة نحو الحياة والكون ومقياس عملي أعلى في الحياة وطريقة عقلية عامة في التفكير ثم تقيم المجتمع على أساس تلك الأسس التي كونت منها شخصية الانسان الكاملة، فالمسألة في نظر الاسلام هي صنع إنسانية بخصائصها الروحية والفكرية التي تتيح لها القيام بأعبائها ورسالتها في العالم، وليست ترميما وإصلاحا لجانب إجتماعي فقط.

هذا من ناحية الفكرة التي يتبناها الاسلام وأما من ناحية الطريقة التي يجب أن تنفذ الفكرة وفقا لها، فلم يضع لها خطوطها المحدودة وتفاصيلها الثابتة في كل الأحوال والظروف كما صنعت الماركسية، حيث أن الانقلاب الثوري هو الطريق الوحيد لتطبيق مفاهيمها.

فالاسلام من ناحية الطريقة لا يجد من الضروري أن يكون إنقلاباً ثورياً كما كان في فكرته وإنما يفسح المجال للانقلابية الثورية في حدود الشروط الصارمة التي تفرضها عليه مثله وقيمه العليا ويسمح باستعمال مختلف الأساليب

والألوان التي تتفق مع تلك المثل والقيم.

وهكذا نعرف أن الاسلام إنقلابي ثوري في فكرته ومرن في طريقته التي يجب أن تحدد على ضوء الملابسات والظروف ومقتضيات الأحكام الشرعية العامة في باب الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب التبليغ والتعليم وباب التقية وغيرها من الأبواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا والتاريخ

ليس التاريخ شيئا منفصلا عن الانسان ومتميزا عنه ، بل هو متحم معه لأن الانسان هو الذي يصنعه ويكونه ، وهو الذي يتحكم في مجراه ، ويوجهه الوجهة التي يريد .

وليس المجتمع ظاهرة مادية فحسب وإنما هو ظاهرة معنوية أيضا لأن المجتمع هو الصيغة المنظورة لعقيدة ما توجه حياة طائفة من الناس وتطبعها بطابعها . فلعل من المدركات البديهية أن الانسان ـ هذا الكائن الذي ينشىء الحضارات ، ويعمر الكون ويغني الحياة ويجددها ـ هو كائن ذو عقيدة يسير عليها في حياته الدنيا . ولم يحدث في الماضي ولن يحدث في المستقبل أيضا أن يوجد مجتمع يمارس حياته بغير عقيدة تنظم هذه الحياة ، فإن

المجتمع ظاهرة معنوية كما قلنا ، وحيث لا عقيدة ولا نظام فلا مجتمع على الاطلاق .

وعقيدة الانسان هي النافذة التي يطل منها على العالم وهي التي تحدد له أسلوب تعامله مع المحيط المادي والاجتماعي اللذين يكتنفانه ، وإذن فالحركة ـ وهي جزء مقوم للتاريخ ـ لا بد وأن تكون التعبير الحي المتجدد عن العقيدة الحافزة والمنظمة للنشاط الانساني ، وعلى هذا فإن تاريخ أي مجتمع إنساني هو في الحقيقة تاريخ حركته في نطاق العقيدة الموجهة له وهو في الوقت ذاته تاريخ العقيدة التي أملت على المجتمع صياغة حياته بهذا الأسلوب المعين وذلك بمقدار تجارب المجتمع مع عقيدته وتفاعله معها .

وطبيعي أننا حين نقرر ذلك لا بد لنا من افتراض أن العقيدة التي يصنع الانسان تاريخه على ضوئها لا بد وأن تكون هي بنفسها ذات صلة بهذه الحياة الواقعية للإنسان ، وإلا فمن البديهي أنها لا تسهم في صنع التاريخ ، وإنما يصنعه حينئذ حافز آخر غيرها .

وإذا كان الأمر كذلك كان لنا أن نتساءل عن وجهة

نظر الإسلام إلى التاريخ : ما موقفه منه وما مدى إسهامه فيه وما هو واقعه الحاضر ؟ وما هي احتمالات المستقبل ؟

- ٢ -

الإسلام هو النافذة التي يطل منها الانسان المسلم على العالم لا من غيرها . فالإسلام لم يترك المسلم يتخبط في بحثه العشوائي عن الموقف المناسب الذي يتعين عليه أن يقفه في حياته هذه ، بل عين له الموقف الواقعي المنطقي الصحيح وطلب إليه أن يلتزمه . والعالم بالنسبة إلى المسلم من وجهة نظر الاسلام ، وهو الميدان الذي يجب أن يمارس فيه الانسان المسلم العملية التاريخية الكونية وفق مشيئة الله جل جلاله .

وكل عمل صغير أو كبير جليل أو حقير يقوم به المسلم وفق أحكام الإسلام له دوره في عملية التاريخ ، وعلى المسلمين أن يكافحوا من أجل أن يجعلوا المجتمع مسلما . أعني الصيغة المنظورة للإسلام ، ومن هنا اشتمل الإسلام على المناهج التي يجب أن تتبع في بناء التاريخ وصياغة الحياة . فالإسلام ليس ديانة صوفية تحمل الانسان على أن يتجرد من الواقع ويرفضه ويتخلص منه بل

ديانة ذات صلة حميمة بالواقع الانساني . والتاريخ بالنسبة إلى الإنسان المسلم ليس شيئا منفصلا ومتميزا عنه ، بل هو متلاحم معه لأنه هو الذي يصنعه ويتحكم في مجراه ويوجهه الوجهة التي يريد ، فالإنسان في الاسلام هو صانع التاريخ ، لأن الانسان في الاسلام حر ، وهو يتحمل مسؤولية حريته .

أما التاريخ في الماركسية فهو موجود مستقل عن إرادة الانسان وعن اختياره والانسان في الماركسية ليس حراً وليس مختاراً في توجيه العملية التاريخية الوجهة التي يريد كما هي الحال في الإسلام . بل هو محكوم لهذه العملية التاريخية ، تسيره وتتحكم بوجوده ومصيره وتملي عليه الأسلوب الذي يجب أن يمارس به حياته . وأما مسيحية الكنيسة فهي على الضد من الإسلام أيضا . إن الكنيسة تعتبر المسيحية عملية رفض إلٰهية للعالم الأرضي كله ، والوسيلة الوحيدة للخلاص هي رفض التاريخ وتخطيه والتعالي عليه وذلك لا يكون إلا بتدمير الانسان ووأد كل الاستجابات التي تقوم بها الذات الانسانية نحو العالم الخارجي .

الماركسية تقف موقفا إيجابيا من التاريخ ولكنها تدمر الانسان حين تجعله عبداً للتاريخ وتسلبه كل حرية واختيار والمسيحية تقف موقفا إيجابيا ـ في الظاهر ـ من الانسان حين تجعله خلاصة غايتها العليا ، ولكنها تقف موقفا سلبيا من التاريخ فتدمر الانسان حين تحاول القيام بعملية فصل الانسان عن واقعه الحي ووأد استجاباته لهذا الواقع . والاسلام وحده بين جميع العقائد والأديان هو الدين الذي وقف موقفا إيجابيا من الانسان ومن التاريخ ، واعترف للإنسان بالحرية الداخلية التي بها يكون صانع التاريخ وموجهه .

وإذن فللإسلام تاريخ ، وقد لا تبدو هذه الحقيقة مثيرة ورائعة بالنسبة إلى كثير من الناس ولكنها ـ في الواقع ـ من أشد الحقائق إثارة .. إذا لاحظنا أنه ليس للمسيحية تاريخ ولا يمكن أن يوجد تاريخ للمسيحية وذلك لأنها ترفض العالم الأرضي وتقف منه موقفاً سلبياً بخلاف الإسلام الذي عرفت أنه يقف من التاريخ موقفاً إيجابيا فاعلا خلاقا .

لقد أثمرت دعوة الاسلام الحارة إلى الحياة والتفاعل معها والعمل فيها ، حضارة من أروع الحضارات التي

عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ، وقد أعطت مبادؤه العظيمة مدنية لم تشهد لها الإنسانية مثيلا في تاريخها القديم والحديث وقدم نموذجا للإنسان فريدا لا تزال الانسانية تكافح من أجل الوصول إليه ، ولن تصل إليه إلا عن طريق الاسلام .

ونحن نعتبر أن الإنسان الذي قدمه الإسلام هو أعظم عطاياه للتاريخ فلقد عرفت البشرية لأول مرة في تاريخها الانسان السوي التكوين ، الانسان الذي لا يمزقه الصراع بين مثله العليا وبين واقعه الحي ، وقد عرفته في مجموعات كبيرة من الناس وفي عدد كبير من الأصقاع وفي شتى الظروف والحالات وهو إذن ليس فلتة وليس شذوذا وإنما هو نتاج دين الاسلام وقد تمثلت المدنية الاسلامية الفريدة في هذا الانسان وقد صاغ الحضارة الاسلامية هذا الانسان .

وليس شيئاً هيِّناً هذا الذي ذكرناه فلم توجد عقيدة حققت هذا النجاح بهذا المقدار من الشمول والعمق والاستمرار ، اللهم إلا في فترات خاطفة ورد ذكرها في القرآن الكريم .

الإنسان في القديم والحديث وفي جميع الأوطان يعاني من الصراع بين مثله العليا وبين واقعه الحي . وحسبنا مثال واحد على ما نقول . الانسان المسيحي أنشأ حضارات آخرها الحضارة الحديثة ، ولكن الحضارات التي أنشأها المسيحي ليست نتاج المسيحية التي ترفض العالم الأرضي وترفض التاريخ وإنما هي نتاج وثني اندفع إليه المسيحي بإلحاح علاقته كإنسان حي بواقعه الخارجي ، وإذن فالحضارات التي أنشأها المسيحي رفض للمسيحية وتخلٍ عنها ، ومن هنا نشأ الصراع في داخل الانسان الغربي بيّن مثله العليا ، وبين واقعه الذي شيده على أنقاض هذه المثل . وما الماركسية ـ لدى التحليل ـ إلا تعبير عن هذا الصراع المدمر بما يبدو أنه حل له ، فالماركسية تمثل أزمة الروح المسيحية وقد بلغت قمتها فلجأت إلى حل الأزمة بأن أزالت رموز المثل العليا من الحياة اليومية للإنسان آملة أن تزيل الروح الدينية نفسها بهذه الوسيلة ولكن الروح الدينية شيء دخيل في كيان الانسان ذاته ولا يمكن التغلب عليه أبدا ، فما لم تصحح المثل العليا نفسها لا يمكن أن يزول الصراع الداخلي بين المثل العليا وبين واقع الانسان الحي .

- ٣ -

وقد كف الاسلام عن صنع التاريخ حين نُحِّيَ عن مركزه القيادي في الحياة الاسلامية . ليس من همنا هنا أن نحدد وقت حدوث هذه المأساة ـ مأساة الفصل بين مبادىء الإسلام البناءة وبين الواقع ـ وإنما يهمنا أن نقرر نتيجتها وهي أن حياة المسلمين المعاصرة حياة بعيدة عن الإسلام لأنها ليست مستوحاة من الإسلام في أكثر خطوطها الكبرى .

إن المسلم المعاصر لا يؤمن بالإسلام كما كان يؤمن به المسلمون البناة وإنما يؤمن به إيمانا خاليا من الحياة والحرارة التي تحيل مبادئه إلى طاقة شعورية تتوق إلى التعبير عن نفسها في صنع التاريخ .

وقد أفلح الاستعمار بما استولى عليه من مقاليد التوجيه الكامل للحياة الإسلامية في أن يبث في عقول الكثرة العظمى من مسلمي اليوم وجهة النظر الغربية إلى الدين وهي أنه قضية تهم الفرد نفسه ولا تتعداه إلى المجتمع ولذلك فلا علاقة للدين بالمجتمع وبالحياة العامة ولا معنى لأن تكون للمجتمع هموم دينية لأن الدين قضية

شخصية تماما . هذا الفهم المزور لوظيفة الدين زاد من ضلال الإنسان المسلم المعاصر . بعده عن الإسلام بل ووقوفه منه موقفاً معادياً في بعض الأحيان .

- ٤ -

وإنَّ هذا الوعي الجديد الذي انتشر واستطار في أنحاء العالم الإسلامي والذي لا يزال يتسع وينشر يوما بعد يوم هذا الوعي الجديد للإسلام ولمبادئه ولمدى مطابقته لحاجات الإنسان المعاصر ومطامحه وإن إفلاس المدنية الحديثة وتخبطها وعجزها الفاضح عن أن تقدم للإنسان الهدوء النفسي إلى جانب الرخاء المادي وإن إخفاق النظم السياسية والاجتماعية في أن توفر للإنسان المعاصر العدالة الاجتماعية مع المحافظة على الجانب الانساني فيه . . . كل هذا يحملنا على أن نكون متفائلين بمستقبل الاسلام في العالم الحديث واثقين بأن الاسلام سيفود الانسان من جديد ، لأن ما يخالف طبيعة الانسان وفطرته ولا بد أن تعبر الفطرة عن نفسها في نهاية المطاف ، والاسلام هو دين الفطرة في مبناه ومعناه ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد كان الإسلام ولا يزال وسيبقى أهم وأخطر وأنبل محاولة لتحقيق العدالة بين الناس ولتكوين مجتمع إنساني كامل ، ولصوغ تاريخ إنساني ، ولتقديم نموذج للإنسان .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

-١٣-

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إليكَ في دَولةٍ كريمةٍ تُعِزُّ بِها الإسلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وأَهْلَهُ وَتَجْعَلنا مِنَ الدّعاةِ إلى طاعَتِكَ والقادَةِ إلى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا والآخرةَ » .

رسالتنا ومشاكل الانسان المسلم

يعاني المسلم المعاصر من مشكلات متنوعة كثيرة ، منها ما يتصل بالفرد ومنها ما يتصل بالأسرة ومنها ما يتصل بالمجتمع بعضها إقتصادي يدور حول الانتاج والتوزيع وبعضها إجتماعي يدور حول قضية المرأة وما إلى ذلك وغيرها كثير .

وليس الحرج في كونه يعاني من هذه المشكلات فإن الحياة المتدفقة المتجددة الموارة بالحركة ، ملازمة

للمشكلات بل الحرج في موقف المسلم المعاصر من مشكلات حياته وفي موقفه من الحلول المقترحة لها . ثم فيما يخلفه فيه موقفه منها ومن حلولها من تمزق نفسي يشل قدرته على الكفاح في مجالات الحياة الكبرى .

لقد انفتح المسلم المعاصر على الحضارة الحديثة وهو يمر في فترة من أسوأ الفترات في تاريخه . وكأن الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها الانسان المسلم في الفترات السابقة قد تجمعت وتلاقحت لتلد نتاجها البشع ، وتعطي نتيجتها المفجعة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ هذا الانسان ـ التي انفتح فيها على الحضارة الحديثة ـ وفيما أعقب هذا الانفتاح من مآس وكوارث .

وكان قد آل أمره من الناحية النفسية إلى أن يقف من الحياة وأحداثها الكبرى موقفا سلبيا إنفعاليا ، وبذلك لم يعد هو ذلك الانسان الذي يوجه الحياة ويصنع التاريخ ويتحكم بالأحداث وإنما غدا إنسانا متخاذلاً منهاراً ينظر إلى العالم الايجابي البناء بهلع ورعب ويتوهم أنه يحل مشاكله بالفرار منها ، بدلاً من مواجهتها والثبوت أمام تحدياتها .

وإذا شئنا تفسيراً منطقياً لهذا الانهيار لم نجد له تفسيراً سوى إنحسار الاسلام عن المجتمع الانساني وعدم تطبيقه على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي للحياة الاسلامية بسبب إنحراف الحكام الذين ألقت المقادير بين أيديهم مصائر المسلمين وتحول الاسلام في ضمير الفرد المسلم إلى حد كبير إلى أن يكون عملية استبطان وتمعن في الذات ، وتأمل فيهاوانطواء عليها ، بدل أن يكون نشطا يتدفق من الذات إلى العالم .

وإذا كف الانسان المسلم ـ بسبب هذا الوضع الفاجع الناشىء عن ظروفه السياسية والاجتماعية في عالمه الداخلي ـ عن أن يتفاعل مع مبادىء الاسلام كفت هذه المبادىء العظيمة عن أن تعمل عملها في حياته . . وقد انعكس هذا الانفصال بين الانسان المسلم وبين مبادئه الاسلامية على الحياة الواقعية في صورة تخلف اقتصادي وإجتماعي مريع . فالموقف السلبي من الحياة والفرار من تحدياتها قعدا بهذا الانسان عن أن ينمي الاكتشافات العظيمة التي اهتدى إليها أسلافه الرواد في ميدان المعرفة والتطبيق فجمد عن التطور في المجال الحضاري حيث توقفت مبادىء الاسلام عن صياغة الحياة الاسلامية من تاريخ هذه

الحياة . وهذه العلة هي التي سببت له التخلف الاجتماعي والاقتصادي .

هذه هي الظروف النفسية والحياتية التي انفتح بها الانسان المسلم على الحضارة الحديثة ، حضارة عدوانية ذات رغبة عارمة بالتسلط الوحشي ، وفي أوج قوتها وعنفوانها وإنسان في أقصى حالات ضعفه وانهياره النفسي والمادي .

وقد نبهه اختكاكه المفاجىء بهذه الحضارة على مشكلاته التي كان يغضى عنها، ويفر منها ، وكون له مشكلات جديدة لابد من حلها . .وهنا ولدت مشكلته الكبرى .

لقد فرضت هذه الحضارة الغالبة على المسلم المعاصر حلولها لمشاكله ، وقدرته على أن يأخذ الحلول وأن يطبقها وأن يتقبل معها وجهة النظر التي صاغتها ، ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أن هذه الحضارة لم تستوح في حلولها مصلحة الانسان المسلم وإنما استوحت مصلحتها هي وأهدافها هي قبل كل شيء . ومن مصلحتها ومن أهدافها أن تميت في هذا الانسان حس الحياة الحرة الكريمة ، وأن تسكت في هذا الانسان كل طاقة تدعوه إلى

الحركة والتفتح وأن تحيله إلى كائن متصرف كما تريد وينتج ما تريد ، ويأخذ ما تشاء ويدع مالا يشاء . وقد تقبل الانسان المسلم كل ذلك بالتسليم . . وماذا يصنع إنسان عالمه الداخلي متهافت وعالمه الخارجي منهار ، ولكنه مسلم يؤمن بالاسلام ، الدين الذي يخالف في كثير أو قليل هذه الحلول التي فرضت والذي يخالف دائما وجهة النظر التي صاغت هذه الحلول . إلا أن الاسلام الذي يؤمن به هذا الانسان إسلام غائم ، ملفع بالضباب مبهم الحدود غير بيّن المعالم ومن هنا فهو لا يعي قدرة الاسلام العظيمة على أن يحل المشاكل التي ترهقه وتضنيه ولا يعي قدرة الاسلام على أن يغني الحياة الانسانية المجدبة ، وأن يذكيها بعد خمود ، ويبعثها بعد همود . وسبب ذلك أن الاسلام لا يزال في ضمير الانسان المسلم دين الطقوس والتصوف والشطحات . . فإن الاستعمار لم يصحح الفكرة الخاطئة عن الاسلام وإنما زادها ضلالا ، لإدراكه أن الاسلام الحق عدوه ، وأن في الاسلام الحق حتفه ، وانحساره عن هذه الرقعة من الأرض وعن هذه الطوائف من الناس .

إن المسلم المعاصر يؤمن بالمثل العليا التي صاغها

الاسلام ولكن الإيمان بالمثل العليا وحده لا يكفي للوصول وإنما لابد أن تصاغ الحياة الانسانية وفق المبادىء الكفيلة بأن تجعل من هذه المثل واقعا حيا معاشا . إن المبادىء هي الوسيط بين الانسان وهذه المثل ، والانسان المسلم فاقد للايمان الحي بهذه المبادىء لأنه لا يدركها بوضوح ولا يتبين معالمها وحدودها ولا يعي قدرتها العظيمة على أن تسوقه نحو واقع عظيم .

وعلينا أن ننبه هنا على أمر بالغ الخطورة وهو أنَّ تطبيق مبادىء الاسلام قبل أن يتحكم الاستعمار في بلاد الاسلام كان ـ بالاضافة إلى ضلال الحاكمين وانحرافهم ـ ناشئا عن الغفلة وعن عدم إدراك الدين الاسلامي على وجهه الصحيح أما الآن فإن الاستعمار يبذل كل جهوده في سبيل أن يجعل رفض تطبيق الاسلام عند المسلمين نتيجة تفكير واع يقوم على وعي مزوّر لوظيفة الدين .

وهكذا غدا الانسان المسلم ممزقا بين واقع لا يؤمن به وبين مثل يحبها ويؤمن بها ولكنه لا يملك أداة تحقيقها في واقعه ، والواقع الذي يملكه يحارب هذه المثل ويعاندها ويعمل على محقها .

وهو الموقف النفسي الذي يجعل المسلم المعاصر في مأساة ينعكس بكل حدثه وعنفه على واقع الحياة الاسلامية ، فالانسان المسلم لسبب من مثله ـ يكافح الأفكار الدخيلة التي يراد فرضها عليه ولكنه بسبب من عدم إيمانه بمبادىء الاسلام ـ عاجز عن إنشاء أفكار مماثلة في التنظيم تستطيع الثبات للتيار الجارف ، فهو إذن يعيش في عالم لا تصله به جذور عقائدية ولكن شدة احتكاكه بهذا العالم تزيد من تفتح عينيه على مشهد لا يسره ، مشهد التفرق العظيم المتزايد باستمرار خارج نطاق عالمه الاسلامي مقارنا بتخلف العالم وانهياره وهذه الرؤية تنعكس في دخيلة نفسه في صورة إدراك مزور لعلة التخلف في العالم الاسلامي يرجعه إلى هذا المثل التي يتشبث بها أو ـ في أحسن الفروض ـ تنعكس هذه الرؤية في نفسه في صورة حيرة مضنية ، وشك في صحة تشبثه بهذه المثل ، أما سبب هذا الإدراك المزور وهذه الحيرة فهو الطوفان الفكري المخدر الذي ما فتىء يغمر الانسان المسلم منذ تسلط الاستعمار على بلاد الاسلام ويوحي إليه بأن الاسلام هو علة تخلفه وانهياره ويعميه عن إدراك السبب الرئيسي لتخلفه وهو فقدانه للايمان بمبادىء

الاسلام وقدرتها العظيمة على إنتشاله من الدرك الذي هو فيه . . ومن هنا ينحرف بعض من بلغ التأزم النفسي فيهم أقصاه نحو العلانية ومن ثم يعيشون المأساة في صورة أخرى وتبقى الكثرة الفقيرة موزعة بين الواقع والمثال .

وإذن فليس الحرج في كون المسلم المعاصر يعاني من مشكلات بل الحرج في موقفه من هذه المشكلات وفي موقفه من الحلول المقترحة لها ثم فيما يخلفه موقفه منها ومن حلولها من تمزق نفسي يشل قدرته على الكفاح في مجالات الحياة . . وهذه هي مشكلته الكبرى .

أما حلها فكان في تصحيح موقفه من مشكلاته ومن حلولها المفروضة عليه وإشعاره أنه ليس ضائعا بل هو إنسان يملك حلولا لمشاكله لا تتنافى مع مثله بل أكثر من ذلك إنها تنسجم مع هذه المثل . وإذن فهذه الحلول المفروضة عليه المضادة لمثله العليا حلول ضالة يجب رفضها والتخلص منها وإذاً فهو ليس إنساناً ضائعاً بل هو إنسان يعرف نفسه ويعرف مصيره ويجب أن يعمل من أجل هذا المصير .

إذا حصل الانسان المسلم على هذا الادراك صحح

موقفه من مشاكله وفي هذا الادراك خلاصه الوحيد .

أما سبيل الحصول على هذا الادراك فهو الكشف عن مبادىء الاسّلام العظيمة التي طال جهل المسلم وبعده عنها وعدم تعرفه عليها وتوضيح مدى ما تملك هذه المبادىء من قدرة على حل مشاكل الانسان المسلم التي يعاني منها وما تحتويه من إمكانيات إخصاب حياته ، ودفعها في أشواط التقدم الذي يعاني المسلم منه مركب نقص حاد بسبب عجزه عن مجاراته والابداع فيه . . وعندئذ لا يعود الانسان المسلم إنسانا ضائعا يشعر أنه معلق بالفراغ ومقذوف في عالم غريب ، وإنما يتوفر لديه حينئذ الشعور بشخصيته وبالوشائج التي تشده إلى الحياة وبالدوافع التي تبعثه نحو المساهمة في صياغتها على هَدْيٍ من مثله العليا ومبادئه العظيمة . . ويتوفر لديه حينئذ الحس التاريخي ، ولا نعني بذلك أنه حينئذ يعي إنتصارات المسلمين الأولين مجردة من أسبابها ، فإن ذلك لا يعود عليه بغير الدوي الذي يحمله على الأغفاء وإنما نعني بذلك أنه يعي بحرارة وقوة أسباب هذه الانتصارات . . وهي أن المبادىء العظيمة التي صنعت للمسلمين الأولين حاضرا عظيما لا تزال قادرة على أن تصنع للمسلم

المعاصر هذا الحاضر العظيم شريطة أن يعيشها ولا يفكر فيها فقط بدأت مأساة الانسان المسلم يوم غدا يفكر في المبادىء دون أن يحياها وأن تمهد للمسلم المعاصر سبيل الحصول على هذا الادراك لرسالتنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ». البقرة /٢٠٨

رسالتنا وموضوع السلام

يطالعنا ونحن بصدد شرح ما تهدف إليه هذه الآية الكريمة السؤال التالي:

ما هو المعنى الذي تشير إليه كلمة (السِّلم في الآية الكريمة وعندما نحاول أن نلقي نظرة تحليلية على هذه الكلمة ينبغي أن نذكر كل الاحتمالات التي تكتنفها.

فقد تعني السلام الذي يقابل معنى الحرب وقد تعني الاسلام كعقيدة وهي الايمان بالله سبحانه وتعالى وقد تعني شيئاً ثالثاً هو الاستسلام التام لله والخضوع الكامل في كل شؤون الحياة.

ولا يمكن أن يسايرنا في بحثنا من هذه الاحتمالات الثلاثة غير الاحتمال الثالث فقط. فليس بإمكان الاحتمال الاول أن يثبت أمام النقد، عندما نعرف أن كلمة السلم ـ بكسر السين ـ ليس من معناها اللغوي السلام، وقد تطلق على السلام مجازاً لما يعنيه السلام أيضاً الاستسلام والرضا والقبول. هذا مع أن الاسلام ليس إلا واقعة لها حكمها الشرعي المختلف باختلاف الظروف والأجواء التي يمر بها الاسلام في جهاده لاقامة كيانه فقد تقتضي بعض الظروف وجوب السلام، كما يشير إليه قوله تعالى (**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**) النساء / ٩٠

وقد تدعو بعض الظروف الأخرى الى حرمة السلام كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: (**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ**) محمد / ٣٥ والسلام في هذا كبقية الوقائع الأخرى التي أعطى الاسلام رأيه فيها. وإذا كان بهذه الصفة فلا مجال لأن يصدر الأمر القاطع بالدخول في السلام دون أن يقيد بحالة خاصة أو ظرف مناسب.

والاحتمال الثاني هو الآخر لا يثبت للنقد أيضاً فإنَّ

ملاحظة الآية الكريمة بدقة تشهد بأن الكلمة لو كانت تعني الايمان بالله سبحانه وتعالى لم يوجه الخطاب للذين آمنوا على الخصوص حيث لا معنى لدعوة المؤمنين بالاسلام إلى الدخول في الاسلام. والآية بعد هذا كله تهدف إلى معنى سام، ونقطة ضرورية بالنسبة إلى مصير الاسلام، تتجلى حين نقف عند كلمة (آدْخُلُوا) فإنها تعني أن السلم ليس إلا كياناً متميزاً نطالَب في الدخول فيه وليس هو صفة نفسية شخصية يقوم بها الفرد المؤمن منفصلاً عن بقية المؤمنين.

فهي إذن تدعو إلى إقامة كيان محسوس يتميز بالاستسلام والخضوع للخالق وتسليم القيادة العملية له وإعطاء السلطات التي يقوم المجتمع على أساسها بيده هذا الكيان الذي يعبر تعبيراً حقيقياً واضحاً عن الكيان الاسلامي، الذي بعث محمد(ص)لاقامته ودعوة البشرية للحياة في ظلاله وأكنافه.

فلا يريد القرآن الكريم من المسلم المؤمن بالله سبحانه وتعالى الاستسلام والخضوع الشخصي له فحسب وإنما يريد منه بعد كل هذا أن يكون عاملا من أجل إقامة الكيان الاسلامي الذي يتميز بطابع الاستسلام والخضوع

للخالق وهو بعد هذا يطالب المسلمين جميعا للانخراط ضمن هذا الكيان الواحد المستسلم. فليس هناك استسلام حقيقي إذا كانت هناك كيانات متعددة.

والقاعدة الاساسية شيء ضروري وجوهري لكل مجتمع يريد لكيانه التماسك والبقاء، ويهدف إلى الرفاه والسعادة والعزة ذلك لأن القاعدة الأساسية هي المحرك الصميمي يمد المجتمع بالحيوية والنشاط وهي التي تحفظ للمجتمع وحدته، وتماسكه، وهي تكون نقطة لكل الاعمال فيه وهي ـ بعد كل هذا ـ العنصر الذي يحتل مركز الحارس للمجتمع عن الانحراف والتردي والخروج عن الاهداف والخطوط التي يرسمها ويعمل لاجلها.

والاسلام يؤكد هذه الحقيقة تأكيداً عملياً فيضع الايمان بالله سبحانه وتعالى قاعدة أساسية لهذا الكيان الذي يدعو إلى الدخول فيه إذ الاستسلام في جوانب المجتمع متفرع عن الايمان به والاعتقاد بربوبيته ولذلك دعا المؤمنين خاصة إلى الدخول في السلم مشيرا أن الايمان هو الشرط الضروري لهذا الكيان الذي يدعو إلى إقامته والدخول فيه القاعدة الاساسية له.

والكيان الاسلامي الذي يقوم على قاعدة أساسية له، هي الايمان بالله والاعتقاد الكامل بإلوهيته ويعمر جوانبه - الاستسلام والخضوع له وتسليم القيادة العملية الحضارية بيده، إن هذا الكيان هو الكيان الوحيد الذي يمكنه أن يؤدي الدور الانساني المجيد ويكفل للبشرية المتردية الحياة السعيدة والرفاه الاجتماعي والعزة والمنفعة والكرامة، وهو وحده الذي يقدر أن ينتشلها من وهدة الرذيلة ويخلصها من براثن الشك المرير الذي تعانيه من جراء ما يكتنفها من ظلام الفراغ الروحي والعقيدي، وما يحوطها من قلق نفسي من هذه الادواء التي جرت بعض المجتمعات المدنية الحديثة إلى التوغل الفظيع في متاهات اللذة السافلة والانحرافات الجنسية والسيكولوجية وانتشرت بسبب ذلك الأمراض العصبية بشكل هائل حتى كادت أن تكون هي الطابع المميز لها وانهارت الأسرة إلى الحضيض.

فلم يكفل لها العلم شيئا من ذلك بعد أن لمست أخطاءه بيدها، ووجدتها جلية واضحة في حضارتها التي يعاني أمراضها وأسقامها. فمهما توسلت المدنية الحديثة إلى استنباط وسائل الراحة والاستقرار، ومهما تفنن العلم

الحديث في اصطناع السعادة، فهو لا يمكنه أن يكفل للانسانية استقرارها النفسي، أو أن يحل تعقد حياتها الاجتماعية، أو يخلق لها الركيزة النفسية التي تلجأ اليها.

إذن فالانسانية بحاجة إلى مثل أعلى تركن اليه وتهدف إلى تحقيقه ويكون إلى كل هذا هدفاً صالحاً صحيحاً في متناول يدها، إنها بحاجة إلى هذا المثل الأعلى بعد أن فشلت في مثلها الأعلى الذي وضعته أمامها حضارة القرن العشرين بل وبعد أن شقيت بهذا المثل الأعلى وعانت على يده من المصائب والآلام فقد جعلت الحضارة المادية الحديثة مثلاً أعلى للانسانية يتمثل في اللذة الحسية ووفرة الانتاج وكثرة الأرباح. إلا أن هذا المثل لم يحقق لها شيئاً من سعادتها المنشودة وحلمها الجبار وأملها المضيء.

وليس أمامنا مثل أعلى يلائم الانسانية ويكفل لها السعادة والاستقرار ويخلصها مما تعانيه من أدواء واسقام وينتشلها من براثن الشك والفراغ العقيدي ويربط كيانها بجميع جوانبه وجهاته ربطاً صحيحاً متيناً.. ليس أمامها غير الكيان المستسلم هذا الكيان الذي دعي الاسلام لاقامته، فالاستسلام لله سبحانه وتعالى من الانسان قوة

خلاقة ومادة صلبة وكائنا فعّالاً يتحكم في اللذة والانتاج ويسير بهما نحو مستقبل أفضل وحياة سعيدة (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الأنعام /١٢٢ صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا في عصر الامام الصادق

إن ما يجعل لهذه الذكرى دلالتها الخاصة بالنسبة إلينا هو هذا الشبه العظيم بين عصرنا الحاضر وبين عصر الامام الصادق (ع) فهي ليست ذكرى نجدد فيها ولاءنا وتمسكنا بمبادىء هذا الامام العظيم ومبادىء آبائه الميامين عليهم السلام فحسب، وإنما هي ذكرى تعيد إلى أذهاننا صور الكفاح المرّ الذي خاضه الامام الصادق (ع) في سبيل حماية الاسلام من حملات أعدائه، والمحافظة على صفائه ونقائه، وعلى هذا فيجب أن تكون حافزاً لنا على الاستمرار في كفاحنا المعاصر في سبيل الاسلام ضد أعدائه ومحرِّفيه.

لقد كان عصر الامام الصادق (ع) عصر فتن وأهواء فتن هوج مزقت المجتمع الاسلامي وقذفت به في حروب

ومنازعات شتى وأهواء مضللة تسللت إلى عقول بعض المسلمين فثبت فيها الشك حول الاسلام ومبادئه العظيمة.

فلقد استغلَّ اعداء الاسلام والدخلاء فيه احتراب المسلمين واضطرابهم وتفرق كلمتهم وتشتت جمعهم، فبثوا في المسلمين مبادئهم الغريبة عن الإسلام ونشروها في صفوفهم وقد التقط المسلمون كل ما أُلقي إليهم دون تفكير ودون تدبر فانتشر الشك بينهم إنتشار الوباء وغدا بدعة من هذه البدع التي يغرم المتعالمون بالتظاهر بها والتحدث عنهاوطلب الشهرة عن طريقها.

وقد حمل الامام الصادق (ع) أعباء الكفاح الديني في عصره المضطرب الحافل بشتى الفتن والبدع والأهواء وبقي صامداً في كفاحه حتى اغتالته قوى الشر في زمانه.

فلقد كافح طغاة عصره من خلفاء وولاة ومتنفذين، فلم يقف منهم موقفاً ليِّناً وهو يراهم يُحرِّفون أحكام الاسلام فيظلمون الرعية ويستهترون بمقدَّرات الأمة ولا يرعون في أفعالهم إلاًّ ولا ذمَّة بل كان يكافحهم بلسانه ويدعو الأمة الاسلامية إلى أن تطبق المبدأ الاسلامي العظيم، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك

ليشعر الحاكمون الظالمون في زمانه برقابة الأمة ووعيها.

وكافح الفهم المزوَّر للدين الاسلامي الذي يجعل منه رفضاً للحياة الدنيا وتخلياً عن العمل فيها ونبذاً لمتعها ومباهجها. فشرح عليه السلام في بيانات عظيمة حفظتها لنا كتب الحديث موقف الاسلام من الحياة الدنيا وحثه على العمل لها والاستمتاع بها في حدود ما شرعه الله تعالى في الدين الاسلامي.

وحمل عليه السلام راية الكفاح الديني الاسلامي ضد حركة الزندقة والالحاد التي شاعت في عصره، والتي نشرها أعداء الاسلام بين المسلمين لأجل إضعافهم وعزل الاسلام عن حياتهم تمهيداً للسيطرة عليهم والتحكم فيهم.

وقد نهض الامام الصادق (ع) لمقارعة أهل الباطل، وباحث الفلاسفة والدهريين وأهل الكلام والجدل الذين جعلوا همهم الأكبر تضليل المسلمين وتشكيكهم في عقائدهم فأبطل بحكمته مقالاتهم الفاسدة وسفسطتهم الفارغة وأوضح لهم اعوجاج مذاهبهم والتواء سبلهم ودعاهم إلى كلمة الحق وجادلهم بالتي هي أحسن، وقد

حفظت لنا كتب التاريخ كثيراً من مناظراته مع هؤلاء الضالين المضلين.

كما أنه عليه السلام قد وجّه أصحابه والبارزين من طلاب مدرسته العلمية على قدر كفاءتهم ومقدرتهم ليخوضوا تلك المعارك الفكرية ويقفوا في وجه تيار الضلال الذي قاده أعداء الاسلام والدخلاء فيه. وقد كانوا خير معين على الكفاح الذي اضطلع به الامام الصادق (ع) وقد كان هو المصدر الأول والمنتهى الاخير لما كان يقوم به صفوة أصحابه في ميدان الكفاح العقائدي.

هذا كلّه إلى جانب قيامه (ع) بأعباء منصب الامامة الكبرى والخلافة العظمى، المنصب الذي يجعل منه مصدراً للتشريع الاسلامي.

هذه ملامح من الكفاح الذي نهض بأعبائه الامام الصادق (ع) والذي يجب أن يكون حافزاً لنا على الاستمرار في كفاحنا المعاصر في سبيل الاسلام ضد أعدائه ومحرِّفيه فإن هذا الوباء العقائدي الوافد والذي يهدد الاسلام والمسلمين هو ما نعاني منه في عصرنا الحاضر. ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن المسلمين اليوم يواجهون

طوفاناً من هذه العقائد والأفكار المنحرفة عن الاسلام والتي يستهدف أعداء الاسلام من ورائها تجريد المسلمين من العقيدة التي تعصمهم من التردي والانهيار.

وقد مهد لانتشار هذه الأفكار الدخلية في بعض الأوساط الاسلامية ما يعانيه المسلمون اليوم من فراغ عقائدي ظهرت معالمه واضحة على الحياة الاسلامية في العصور الأخيرة فقد غدا الاسلام عند المسلمين إسماً فقط، إسماً لا صلة له بواقع الحياة ومناهج السلوك، إسماً إن وَجد له مظهراً في علاقة المسلم بربه فإنه لا يجد مظهرا في علاقة المسلم بإخوانه في الدين وأعدائه في الدين وفي مسائل الحياة الكبرى.

لقد صادفت مبادىء الضلال هذا الفراغ العقائدي وهو الذي هيأ لها فرصة الشيوع والانتشار في بعض الاوساط الاسلامية، والفراغ العقائدي مظهر من مظاهر البعد عن القيم الاسلامية التي يجب أن يقوم عليها موقف الانسان المسلم من الكون والحياة والانسان ومشاكله. وقد أفلح أعداء الاسلام بما أُوتوا من سلطان سياسي وعسكري على حياة المجتمعات الاسلامية في أن يعزلوا

هذه المجتمعات عن إيحاءات الاسلام وعن مبادئه وقيمه وأن يوجهوا الحياة الاسلامية وفقا لأفكار ومبادىء لا تمت إلى الاسلام بصلة ولا تلتقي معه على صعيد. وبذلك انقطعت الصلة الحيّة بين الاسلام وبين المسلمين ولم يعد له ظل على واقع حياتهم فكان الفراغ العقائدي وكان الوباء.

هذا هو الواقع العقائدي الذي يعيش فيه العالم الاسلامي في هذه الايام وهو شبيه بما كافح الامام الصادق (ع) في سبيل تبديله بواقع إسلامي حقيقي.

وقد نهج الامام الصادق وآباؤه الطاهرون المصطفون صلوات الله عليهم جميعا للمكافحين في سبيل الله من بعدهم، النهج السليم في الدعوة إلى الله وهو النهج الاسلامي الانساني (**آدْعُ إِلَى رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) النحل /١٢٥.

ونحن بعون الله على هديهم سائرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتنا والشخصيّة الاسلاميّة

يوجد في المثقفين المسلمين من يستغرب الحديث عن (شخصية إسلامية) ويتساءل عما إذا كانت ثمة شخصية للمسلم نابعة من الاسلام وحده، شخصية مستقلة فريدة تستحق أن تكون موضوعاً للبحث والتحليل. لا يستغربون الحديث عن شخصية عربية أو إيرانية أو هندية ، كنهم يستغربون الحديث عن شخصية إسلامية.

وهذا ليس إلا مظهراً من مظاهر الوباء العقلي الذي استشرى في شبابنا الناشىء بسبب انقطاع الصلة الحقيقية بينه وبين الاسلام واقتصاره على الافكار الغربية في غذائه العقلي.

فإن الاسلام عقيدة شاملة، نظمت حياة الانسان فلم تهمل شأناً من شؤونه ولم تغفل جانباً من جوانبه وعقيدة

لها هذه الاحاطة وهذا الشمول لا بد وأن تطبع بطابعها المعين داخل معتنقيها ومظاهر سلوكهم ولا بد أن تصوغ وجودهم وفقا لمعطياتها الخاصة. وعلى هذا فمن الغريب ألاّ تكون ثمة شخصية إسلامية مستقلة فريدة.

وحيث أننا لا نستطيع في هذه العجالة أن نقدم تحليلاً شاملاً نستقصي فيه جميع عناصر الشخصية الاسلامية ومكوناتها نكتفي الآن بعرض بعض خطوطها الكبرى على أن نبسط القول فيها في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

إن الانسان المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله جل جلاله بما يملك من قدرة روحية، وبالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية وفكرية، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من أخلاق. وهذه العناصر الثلاثة، الروح والعقل والخلق. عناصر أساسية في الشخصية الاسلامية ولا يمكن أن توجد شخصية إسلامية خالية عن هذه العناصر أو عن بعضها. فلا بد من عقل حي، متفتح ولا بد من خلق عال نموذجي. ولا بد من روح شفاف نظيف لأجل أن توجد الشخصية الانسانية النموذجية. وهذا هو ما سعى إليه الاسلام وعني به. صياغة نموذج للانسان

يتمتع بهذه القوى. عقل يتفاعل به مع الكون المحيط به، وخلق يتفاعل به مع المجتمع، وروح تصله بالله الخالق البارىء المصور.

ومن الواضح أن هذه القوى الثلاث في شخصية الانسان المسلم ليست متحاجرة، بل متفاعلة فيما بينها ومتكاملة.

والانسان الذي استقر وجوده الخاص على هذه الأسس الثلاثة الكبرى إنسان يعبر بسلوكه في الحياة اليومية وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الأخلاقية فليس في وجود هذا الانسان ثمة انفصال بين السلوك الواقعي وبين المبادىء كما هو المشاهد في الانسان غير المتكامل.

فإن الشخصية النابعة من اعتناق عقيدة تحدد الطريق وتضع الحلول وتدفع إلى العمل، تجعل لكل شخص إنساني وجوداً فريداً متميزاً لا شريك له فيه، وتهب له الغنى الداخلي والخصب الباطني ومن هنا يكون هو الذي يملك الواقع ويصوغه ولا يمتلكه ويستبد به. والانسان المسلم يستطيع أن يكون (شاهداً على الناس) بهذا المعنى، أن الشاهد يجب أن يكون قادراً على الانفصال

عن المشهود، وعلى مراقبته وترصده ونقده. فلا بد من أن تكون له حدود تعصمه من الانهيار والذوبان الذي يفقده شكله الخاص وقوامه الخاص.

وعاقبة انحلال الشخصية وانعدامها لدى الانسان الفرد هي عدم قدرته على صنع مصيره، وعجزه عن المساهمة في صنع مصير الآخرين. فإن الانسان الفاقد للشخصية مستغرق في العالم حوله، مستعبد له، مملوك للواقع المادي والبشري الذي يحيط به. إنه إنسان مجروف بالتيار الذي لم يشارك في صياغته وعاقبة انحلال الشخصية لدى المجتمع هي عجزه عن ابتداع نموذج حضاري مشتق من مفاهيمه عن الكون والحياة والانسان وصيرورته ـ في المجال الحضاري ـ عالة على قوى حضارية غريبة عن روحه فيقتبس منها ما قد يزيده بعداً عن مفاهيمه الخاصة ويزيده عجزاً عن تحويلها إلى واقع عياني معاش.

وهذا هو الوضع الذي يعاني منه المسلم المعاصر، فإنه فاقد للمقومات الاساسية لشخصيته الخاصة، الشخصية النابعة عن الاسلام ومن هنا فهو عاجز ـ في حدود واقعه الحاضر ـ عن ابتداع نموذج اسلامي للحضارة

وهو من ناحية أخرى مرغم على الاقتباس من النموذج الحضاري السائد في العالم مما قد يزيده بعداً عن الاسلام وعجزاً عن تحويل مبادىء الاسلام إلى واقع حي.

وثمة نتيجة سيئة أخرى لانحلال الشخصية الاسلامية لدى المسلم المعاصر تظهر لنا بجلاء إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الوجود الاسلامي في العالم ليس محصورا ضمن نطاق جغرافي أو عنصري خاص، وإنما هو ممتد في أطر جغرافية وعنصرية كثيرة. ومن شأن الشخصية الاسلامية لو وجدت أن تحدث تياراً فكرياً نوعياً يتغلغل في جميع المجتمعات الاسلامية في العالم مما يجعل الوجود الاسلامي ذا مظهر موحد متجانس، فذّ. أما والشخصية الانسانية غير موجودة فإن الحاصل بالفعل هو تيارات فكرية نوعية لكل مجتمع إسلامي منها وحده وهذا الواقع يخلق بين المجتمعات الاسلامية تحاجزا شعوريا داعياً يجعل ثمة عوالم إسلامية متحاجزة وراء قيود وهمية صنعتها بنفسها ولا يعترف بها الإسلام.

هذا، وعلى الرغم من تآزر جميع القوى المعادية للاسلام على حربه والنيل منه وجدِّها في تفريق كلمة

المسلمين، وتفتيت وحدتهم، لا تزال توجد في مختلف البلاد الاسلامية ذبالة لهذه الشخصية الاسلامية ممثلة في بعض المسلمين الواعين الذين لم تقو الافكار الدنسة على تلويثهم وإن على العاملين على الصعيد الاسلامي في المجال الفكري ان يجعلوا أكبر همهم إحياء هذه الشخصية وبعثها في أكبر عدد ممكن من المسلمين.

الفهرس

مقدمة الناشر ٥

تقديم ١٧

١ ـ الشرط الأساسي لنهضة الأمة ٢١

٢ ـ رسالتنا والدعاة ٢٧

٣ ـ المشاعر والأفكار ٣٣

٤ ـ رسالتنا ومعالمها الرئيسية ٤١

٥ ـ رسالتنا يجب أن تكون قاعدة ٤٩

٦ ـ رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للوحدة ٥٥

٧ ـ رسالتنا وواقع الأمة الإسلامية ٦٣

٨ ـ رسالتنا خالدة متطورة ٦٩

٩ ـ رسالتنا إنسانية عالمية (١) ٧٧

١٠ ـ رسالتنا إنسانية عالمية (٢) ٨٧

١١ ـ رسالتنا فكرية انقلابية ٩٧
١٢ ـ رسالتنا والتاريخ ١٠٣
١٣ ـ رسالتنا ومشاكل الإنسان المسلم ١١٣
١٤ ـ رسالتنا وموضوع السلام ١٢٣
١٥ ـ رسالتنا في عصر الإمام الصادق (ع) ١٣١
١٦ ـ رسالتنا والشخصية الإسلامية ١٣٧

2941

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville Pa
JAN-FEB 1991

Princeton University Library
32101 060169008

محمد تقي الحكيم

قصة التقريب بين المذاهب

وبحوث أخرى

مطبوعات
مكتبة النجاح
طهران